الخُلاصَةُ
في معاني النَّصر الحَقيقيَّةِ

جمع وإعداد
الباحث في القرآن والسنَّة
علي بن نايف الشحود

الطبعة الأولى
1430 هـ 2009 م
بهانج – دار المعمور

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين،والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين،وعلى آله وصحبه أجمعين،ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فقد كتب الله تعالى لأوليائه النصر على أعدائه،فقال تعالى:{وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (171) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (172) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (173)} [الصافات:171 - 173]

ووعد الله حقٌّ لا يمكن أن يتخلَّف،إلا أنَّ كثيراً من الناس اليوم يظنون أن النصر هو النصرُ العسكريُّ والتمكينُ في الأرض فقط،ومن ثم تراهم ينحون باللائمة على المجاهدين الذين قتلوا دون تحقيق هذا الهدف،بل ويتهمونهم أحياناً بالتهور والاندفاع غير المدروس لملاقاة الأعداء .

وقد فات هؤلاء أن النصر الذي كتبه الله تعالى نفسه ووعد به عباده المؤمنون له معانٍ كثيرة ومتنوعة،فهو غيرُ قاصر على المعنى الشائع بين الناس .

وفي هذا هذا الكتاب بيان لأهم معاني النصر الحقيقية،وقد قسمته إلى مبحثين :

المبحث الأول= أهم معاني النصر الحقيقية

المعنى الأول-انتصار المجاهد على نفسه
المعنى الثاني-الانتصار على الشيطان
المعنى الثالث-هداية الله وتوفيقه للمجاهد
المعنى الرابع-الانتصار على المثبطين
المعنى الخامس-انتصار العقيدة والإيمان
المعنى السادس-الفداء لهذا الدين هو انتصار بنفسه
المعنى السابع-نصر الله عباده نصر حجة وبيان
المعنى الثامن-هلاك الكافرين ونجاة المؤمنين
المعنى التاسع-الجهاد في سبيل الله يكون سببا في فقر الكافرين وموتهم على الكفر
المعنى العاشر-اتخاذ الشهداء
المعني الحادي عشر-نصر العزة والتمكين في الأرض
المعنى الثاني عشر-حماية الله عباده المؤمنين من كيد الكافرين

المبحث الثاني=لماذا يبطئ النصر ؟

وفيه أسباب عديدة لذلك،ومنها عدم تحقق شروطه،وانتفاء موانعه

فليطمئنَّ المؤمنون في هذه الأرض بأنَّ نصر الله تعالى آت لا محالة لعباده المؤمنين الصادقين،الذي يضحون في سبيل هذا الدِّين بالغالي والنفيس.

قال تعالى :{فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيُقْتَلْ أَو يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} (74) سورة النساء.

أسأل الله تعالى أن ينفع به كاتبه وقارئه وناشره والدال عليه في الدارين .

جمعه وأعده

الباحث في القرآن والسنة

علي بن نايف الشحود

في 24 رجب 1430 هـ الموافق ل 17/7/2009 م

المبحث الأول
أهم معاني النصر الحقيقية
تمهيد

قال تعالى:{إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (51) يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} (52) سورة غافر
فأما في الآخرة فقد لا يجادل أحد من المؤمنين بالآخرة في هذه النهاية. ولا يجد ما يدعوه إلى المجادلة.
وأما النصر في الحياة الدنيا فقد يكون في حاجة إلى جلاء وبيان.
إن وعد اللّه قاطع جازم:«إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا ..» .. بينما يشاهد الناس أن الرسل منهم من يقتل ومنهم من يهاجر من أرضه وقومه مكذبا مطرودا،وأن المؤمنين فيهم من يسام العذاب،وفيهم من يلقى في الأخدود،وفيهم من يستشهد،وفيهم من يعيش في كرب وشدة واضطهاد .. فأين وعد اللّه لهم بالنصر في الحياة الدنيا؟ ويدخل الشيطان إلى النفوس من هذا المدخل،ويفعل بها الأفاعيل! ولكن الناس يقيسون بظواهر

الأمور. ويغفلون عن قيم كثيرة وحقائق كثيرة في التقدير.
إن الناس يقيسون بفترة قصيرة من الزمان،وحيز محدود من المكان. وهي مقاييس بشرية صغيرة. فأما المقياس الشامل فيعرض القضية في الرقعة الفسيحة من الزمان والمكان،ولا يضع الحدود بين عصر وعصر
ولا بين مكان ومكان. ولو نظرنا إلى قضية الاعتقاد والإيمان في هذا المجال لرأيناها تنتصر من غير شك. وانتصار قضية الاعتقاد هو انتصار أصحابها. فليس لأصحاب هذه القضية وجود ذاتي خارج وجودها. وأول ما يطلبه منهم الإيمان أن يفنوا فيها ويختفوا هم ويبرزوها! والناس كذلك يقصرون معنى النصر على صور معينة معهودة لهم،قريبة الرؤية لأعينهم. ولكن صور النصر شتى. وقد يتلبس بعضها بصور الهزيمة عند النظرة القصيرة .. إبراهيم عليه السّلام وهو يلقى في النار فلا يرجع عن عقيدته ولا عن الدعوة إليها .. أكان في موقف نصر أم في موقف هزيمة؟ ما من شك - في منطق العقيدة - أنه كان في قمة النصر وهو يلقى في النار. كما أنه انتصر مرة أخرى وهو ينجو

من النار. هذه صورة وتلك صورة. وهما في الظاهر بعيد من بعيد. فأما في الحقيقة فهما قريب من قريب!
وكم من شهيد ما كان يملك أن ينصر عقيدته ودعوته ولو عاش ألف عام،كما نصرها باستشهاده. وما كان يملك أن يودع القلوب من المعاني الكبيرة،ويحفز الألوف إلى الأعمال الكبيرة،بخطبة مثل خطبته الأخيرة التي يكتبها بدمه،فتبقى حافزا محركا للأبناء والأحفاد. وربما كانت حافزا محركا لخطى التاريخ كله مدى أجيال[1]
ما النصر؟ وما الهزيمة؟ إننا في حاجة إلى أن نراجع ما استقر في تقديرنا من الصور. ومن القيم. قبل أن نسأل:أين وعد اللّه لرسله وللمؤمنين بالنصر في الحياة الدنيا!
على أن هناك حالات كثيرة يتم فيها النصر في صورته الظاهرة القريبة. ذلك حين تتصل هذه الصورة الظاهرة القريبة بصورة باقية ثابتة. لقد انتصر محمد - ﷺ - في حياته. لأن هذا النصر يرتبط بمعنى إقامة هذه العقيدة بحقيقتها الكاملة في الأرض. فهذه العقيدة لا يتم تمامها إلا بأن تهيمن على حياة الجماعة البشرية وتصرفها جميعا. من

[1] - فى ظلال القرآن ـ موافقا للمطبوع - (5 / 3085)

القلب المفرد إلى الدولة الحاكمة. فشاء اللّه أن ينتصر صاحب هذه العقيدة في حياته،ليحقق هذه العقيدة في صورتها الكاملة،ويترك هذه الحقيقة مقررة في واقعة تاريخية محددة مشهودة.
ومن ثم اتصلت صورة النصر القريبة بصورة أخرى بعيدة،واتحدت الصورة الظاهرة مع الصورة الحقيقية.
وفق تقدير اللّه وترتيبه.
وهنالك اعتبار آخر تحسن مراعاته كذلك. إن وعد اللّه قائم لرسله وللذين آمنوا. ولا بد أن توجد حقيقة الإيمان في القلوب التي ينطبق هذا الوعد عليها. وحقيقة الإيمان كثيرا ما يتجوز الناس فيها. وهي لا توجد إلا حين يخلو القلب من الشرك في كل صوره وأشكاله.
وإن هنالك لأشكالا من الشرك خفية لا يخلص منها القلب إلا حين يتجه للّه وحده،ويتوكل عليه وحده،ويطمئن إلى قضاء اللّه فيه،وقدره عليه،ويحس أن اللّه وحده هو الذي يصرفه فلا خيرة له إلا ما اختار اللّه. ويتلقى هذا بالطمأنينة والثقة والرضى والقبول. وحين يصل إلى هذه الدرجة فلن يقدم بين يدي اللّه،ولن يقترح عليه صورة معينة من صور النصر أو صور الخير.

فسيكل هذا كله للّه. ويلتزم. ويتلقى كل ما يصيبه على أنه الخير .. وذلك معنى من معاني النصر .. النصر على الذات والشهوات. وهو النصر الداخلي الذي لا يتم نصر خارجي بدونه بحال من الأحوال.

«إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهادُ. يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ».[2]

إنَّ من معتقد أهل السنة والجماعة في معاني أسماء الله وصفاته أن الله لا يَخذل من توجّه إليه بصدق وتوكل واعتمد عليه. فإنه لم يحصل في تاريخ البشرية منذ أن خلق الله هذه الأرض أن نبياً من الأنبياء أو عالماً أو داعيةً أو مجاهداً أو مجتمعاً أو دولةً أو غيرهم توكلوا على الله وصدقوا الله واعتمدوا على الله وتركوا جميع الناس من أجل الله ثم خذلهم الله،هذا لا يعرف في التاريخ أبداً،بل من فهمنا لمعاني أسماء الله وصفاته أن كل من توكل على الله واعتمد عليه وترك من سواه من الخلق،فإن الله لا يخذله،بل سينصره كما قال سبحانه: وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ [الروم:47].

[2] - فى ظلال القرآن ـ موافقا للمطبوع - (5 / 3086)

فإن هذا من معاني أسمائه وصفاته. فالله عز وجل بما له من الأسماء الحسنى والصفات العلا كتب النصر والغلبة لأهل الحق من أوليائه الصالحين والمصلحين،وكتب المهانة والذلة على أعدائه من الكافرين والمنافقين،وهذه سنة لا تتخلف إلاّ إذا تخلفت أسبابها فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً [فاطر:43].

لكن لهذا النصر صور عديدة،وليس النصر محصوراً في انتصار المعارك فحسب،بل قد يقتل النبيّ أو يطرد العالم أو يسجن الداعية أو يموت المجاهد أو تسقط الدولة،والمؤمنون منهم من يسام العذاب،ومنهم من يلقى في الأخدود،ومنهم من يَستشهد،ومنهم من يعيش في كرب وشدة واضطهاد،ومع ذلك يكون كل هؤلاء قد انتصروا بل وحققوا نصراً مؤزراً،وتحقق فيهم قول الله تعالى: وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنينَ.

ومن قَصَرَ معنى النصر على صورة واحدة وهي الانتصار في المعارك فحسب،لم يدرك معنى النصر في الإسلام.

وإليك أهم هذه المعاني :

المعنى الأول
انتصار المجاهد على نفسه

إن أعظم أنواع النصر وهو الذي يتحقق لكل مجاهد سواءً على مستوى الفرد أو على مستوى الأمة،هو انتصار المجاهد على نفسه وشيطانه والمحبوبات الثمانية وما يتفرع عنها من محبوبات عندما يسلك طريق الجهاد،وتلك الجواذب الأرضية التي فشل كثير من المسلمين بل فشلت الأمة بمجموعها في الانتصار عليها عدها الله تعالى بقوله (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (24) [التوبة:24])،والعبد حينما يترك هذه المحبوبات الثمانية ويخرج للجهاد يكون قد انتصر على نفسه وعلى شهوته وعلى هذه الجواذب المثبطة.

ومن خلال هذا النصر يكون قد حقق نصراً آخر هو أعظم من الأول حينما ثبت له أنه ليس من أهل الفسق وأنه غير مخاطب

بتهديد الله ووعيده في آخر الآية،كل هذا النصر قد حصل له عندما أثبت عملياً أنه يحب الله ورسوله والجهاد في سبيله فما أعظم ذلك النصر.

المعنى الثاني
الانتصار على الشيطان

وإذا خرج العبد للجهاد يكون قد حقق انتصاراً آخر ولكن هذه المرة انتصاره على شيطانه الذي يتربص به ويحاول إعاقته عن الجهاد بكل السبل فعَنْ سَبْرَةَ بْنِ أَبِي فَاكِهٍ قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ قَالَ:إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لاِبْنِ آدَمَ بِطَرِيقِ الإِسْلاَمِ،فَقَالَ لَهُ:تَسْلَمُ وَتَذَرُ دِينَكَ،وَدِينَ آبَائِكَ،فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ فَغَفَرَ لَهُ،فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ،فَقَالَ لَهُ:تُهَاجِرُ وَتَذَرُ أَرْضَكَ،وَسَمَاءَكَ،فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ،فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ،فَقَالَ لَهُ:تُجَاهِدُ وَهُوَ جَهْدُ النَّفْسِ،وَالْمَالِ،فَتُقَاتِلُ فَتَقْتُلُ،فَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ،وَيُقْسَمُ الْمَالُ،فَعَصَاهُ فَجَاهِدَ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ :فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَمَاتَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ،أَوْ قُتِلَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ،وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ،أَوْ وَقَصَتْهُ دَابَّةٌ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةُ.[3]

فبالجهاد يتحقق النصر على الشيطان وينال العبد جنة الرحمن.

---

[3] - صحيح ابن حبان - (10 / 453) (4593) صحيح

المعنى الثالث
هداية الله وتوفيقه للمجاهد

إن المجاهد إذا خرج للجهاد فإنه قد حقق نصراً لأنه أصبح من أهل قوله تعالى:
(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) سورة القصص(69)) .
فالذِينَ قَاتَلُوا في سَبيلِ اللهِ،وَجَاهَدُوا الكُفَّارَ،وَبَذَلُوا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فِي سَبيلِ نُصْرَةِ دِين الله،فإِنَّ الله يَعِدُهُم بأَنْ يَزِيدَهُمْ هِدَايةً إِلى سَبِيلِ الخَيْر،وَتَوفِيقاً لسُلُوكِها . واللهُ تَعَالى مَعَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلَهُ مِنْ عِبَادِه،يُعِينُه وَيَنْصُرُهُ .[4]

فما أعظم ذلك النصر عندما يتعرض المجاهد لهداية الله سبحانه وتعالى،فأعظم نصر على الشيطان هو الهداية وأعظم فضل من الله سبحانه وتعالى هو التوفيق لها،فمن جاهد فقد حقق النصر بالهداية وأصبح من المحسنين الذين لهم من الله معية خاصة معية النصرة والتوفيق والهداية والصلاح،ولو جاهدت الأمة بمجموعها وشاركت في الجهاد حقاً لأصبحت أمة مهدية لها معية خاصة كما

---

[4] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (1 / 3291)

كانت في عهد الصحابة والتابعين أمة موفقة غالبة منصورة.
وَلِهَذَا قَالَ الْإِمَامَانِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ وَأَحْمَد بْنُ حَنْبَلٍ وَغَيْرُهُمَا:إذَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي شَيْءٍ فَانْظُرُوا مَاذَا عَلَيْهِ أَهْلُ الثَّغْرُ فَإِنَّ الْحَقَّ مَعَهُمْ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ:{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} (69) سورة العنكبوت .[5]

[5] - مجموع الفتاوى لابن تيمية - (28 / 442)

المعنى الرابع
الانتصار على المثبطين

وبخروج العبد للجهاد يكون قد انتصر على المثبطين من بني جلدته الذين يتحدثون بلسانه،بل بعضهم يتفيهق بلي أعناق النصوص لتخدم تثبيطه للأمة عن الجهاد وقد فضحهم الله تعالى بقوله: (لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ [التوبة:47]) .
يقول تعالى مبينا أن المتخلفين من المنافقين قد ظهر منهم من القرائن ما يبين أنهم ما قصدوا الخروج للجهاد بالكلية،وأن أعذارهم التي اعتذروها باطلة،فإن العذر هو المانع الذي يمنع إذا بذل العبد وسعه،وسعى في أسباب الخروج،ثم منعه مانع شرعي،فهذا الذي يعذر.
{ و } أما هؤلاء المنافقون فـ { لَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأعَدُّوا لَهُ عُدَّةً } أي: لاستعدوا وعملوا ما يمكنهم من الأسباب،ولكن لما لم يعدوا له عدة،علم أنهم ما أرادوا الخروج.
{ وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ } معكم في الخروج للغزو { فَثَبَّطَهُمْ } قدرا وقضاء،وإن

كان قد أمرهم وحثهم على الخروج،وجعلهم مقتدرين عليه،ولكن بحكمته ما أراد إعانتهم،بل خذلهم وثبطهم { وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ } من النساء والمعذورين.
ثم ذكر الحكمة في ذلك فقال { لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلا خَبَالا } أي: نقصا.
{ وَلأوْضَعُوا خِلالَكُمْ } أي: ولسعوا في الفتنة والشر بينكم،وفرقوا جماعتكم المجتمعين،{ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ } أي: هم حريصون على فتنتكم وإلقاء العداوة بينكم.
{ وَفِيكُمْ } أناس ضعفاء العقول { سَمَّاعُونَ لَهُمْ } أي: مستجيبون لدعوتهم يغترون بهم،فإذا كانوا هم حريصين على خذلانكم،وإلقاء الشر بينكم،وتثبيطكم عن أعدائكم،وفيكم من يقبل منهم ويستنصحهم.
فما ظنك بالشر الحاصل من خروجهم مع المؤمنين،والنقص الكثير منهم،فللّه أتم الحكمة حيث ثبطهم ومنعهم من الخروج مع عباده المؤمنين رحمة بهم،ولطفا من أن يداخلهم ما لا ينفعهم،بل يضرهم.
{ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ } فيعلم عباده كيف يحذرونهم،ويبين لهم من المفاسد الناشئة من مخالطتهم.[6]

---

[6] - تفسير السعدي - (1 / 339)

والقلوب الحائرة تبث الخور والضعف في الصفوف،والنفوس الخائنة خطر على الجيوش ولو خرج أولئك المنافقون ما زادوا المسلمين قوة بخروجهم بل لزادوهم اضطرابا وفوضى. ولأسرعوا بينهم بالوقيعة والفتنة والتفرقة والتخذيل. وفي المسلمين من يسمع لهم في ذلك الحين. ولكن اللّه الذي يرعى دعوته ويكلأ رجالها المخلصين،كفى المؤمنين الفتنة،فترك المنافقين المتخاذلين قاعدين:«وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ» ..والظالمون هنا معناهم «المشركون» فقد ضمهم كذلك إلى زمرة المشركين![7]

ومن المثبطين من فضحه الله تعالى بقوله: (فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ [التوبة: 81]).

فقد ذَمَّ اللهُ تَعَالَى المُنَافِقِينَ الذِينَ تَخَلَّفُوا عَنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللهِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ،وَفَرِحُوا بِقُعُودِهِمْ بَعْدَ خُرُوجِهِ،وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَهُ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي

[7] - فى ظلال القرآن ـ موافقا للمطبوع - (3 / 1663)

سَبِيلِ اللهِ،وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ،إِغْرَاءً لَهُمْ بِالثَّبَاتِ عَلَى المُنْكَرِ،وَتَثْبِيطاً لِعَزَائِمِ الْمُؤْمِنِينَ:لاَ تَخْرُجُوا إِلَى الجِهَادِ فِي الحَرِّ . فَأَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ بِأَنْ يَقُولَ لَهُمْ:إِنَّ نَارَ جَهَنَّمَ الَّتِي سَيَصِيرُونَ إِلَيْهَا،هِيَ أَشَدُّ حَرّاً مِنْ قَيْظِ الصَّحْرَاءِ الذِي فَرُّوا مِنْهُ . وَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُدْرِكُونَ وَيَعْقِلُونَ لَمَا خَالَفُوا وَقَعَدُوا،وَلَمَا فَرِحُوا بِقُعُودِهِمْ .[8]

هؤلاء الذين أدركتهم ثقلة الأرض. ثقلة الحرص على الراحة،والشح بالنفقة. وقعد بهم ضعف الهمة وهزال النخوة،وخواء القلب من الإيمان .. هؤلاء المخلفون - والتعبير يلقي ظل الإهمال كما لو كانوا متاعا يخلف أو هملا يترك - فرحوا بالسلامة والراحة «خلاف رسول اللّه» وتركوا المجاهدين يلاقون الحر والجهد،وحسبوا أن السلامة غاية يحرص عليها الرجال! «وَكَرِهُوا أَنْ يُجاهِدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» ..

«وَقالُوا:لا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ» وهي قولة المسترخي الناعم الذي لا يصلح لشيء مما يصلح له الرجال.

---

8 - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (1 / 1317)

إن هؤلاء لهم نموذج لضعف الهمة،وطراوة الإرادة وكثيرون هم الذين يشفقون من المتاعب،وينفرون من الجهد،ويؤثرون الراحة الرخيصة على الكدح الكريم،ويفضلون السلامة الذليلة على الخطر العزيز.
وهم يتساقطون إعياء خلف الصفوف الجادة الزاحفة العارفة بتكاليف الدعوات. ولكن هذه الصفوف تظل في طريقها المملوء بالعقبات والأشواك،لأنها تدرك بفطرتها أن كفاح العقبات والأشواك فطرة في الإنسان،وأنه ألذ وأجمل من القعود والتخلف والراحة البليدة التي لا تليق بالرجال.
والنص يرد عليهم بالتهكم المنطوي على الحقيقة:«وَقالُوا:لا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ. قُلْ:نارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كانُوا يَفْقَهُونَ».
فإن كانوا يشفقون من حر الأرض،ويؤثرون الراحة المسترخية في الظلال. فكيف بهم في حر جهنم وهي أشد حرا،وأطول أمدا؟
وإنها لسخرية مريرة،ولكنها كذلك حقيقة.
فإما كفاح في سبيل اللّه فترة محدودة في حر الأرض،وإما انطراح في جهنم لا يعلم مداه إلا اللّه:
«فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزاءً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ» ..

وإنه لضحك في هذه الأرض وأيامها المعدودة،وإنه لبكاء في أيام الآخرة الطويلة. وإن يوما عند ربك كألف سنة مما يعدون.
«جَزاءً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ» ..فهو الجزاء من جنس العمل،وهو الجزاء العادل الدقيق.
هؤلاء الذين آثروا الراحة على الجهد - في ساعة العسرة - وتخلفوا عن الركب في أول مرة. هؤلاء لا يصلحون لكفاح،ولا يرجون لجهاد،ولا يجوز أن يؤخذوا بالسماحة والتغاضي،ولا أن يتاح لهم شرف الجهاد الذي تخلوا عنه راضين :«فَإِنْرَجَعَكَ اللَّهُ إِلى طائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ،فَقُلْ:لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَنْ تُقاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا،إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ،فَاقْعُدُوا مَعَ الْخالِفِينَ»..
إن الدعوات في حاجة إلى طبائع صلبة مستقيمة ثابتة مصممة تصمد في الكفاح الطويل الشاق. والصف الذي يتخلله الضعاف المسترخون لا يصمد لأنهم يخذلونه في ساعة الشدة فيشيعون فيه الخذلان والضعف والاضطراب. فالذين يضعفون ويتخلفون يجب نبذهم بعيدا عن الصف وقاية له من التخلخل والهزيمة. والتسامح مع

الذين يتخلفون عن الصف في ساعة الشدة،ثم يعودون إليه في ساعة الرخاء،جناية على الصف كله،وعلى الدعوة التي يكافح في سبيلها كفاحه المرير ..«فَقُلْ:لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَنْ تُقاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا».لما ذا؟.
«إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ» ..ففقدتم حقكم في شرف الخروج،وشرف الانتظام في الكتيبة،والجهاد عبء لا ينهض به إلا من هم له أهل. فلا سماحة في هذا ولا مجاملة: «فَاقْعُدُوا مَعَ الْخالِفِينَ» ..المتجانسين معكم في التخلف والقعود.
هذا هو الطريق الذي رسمه اللّه تعالى لنبيه الكريم،وإنه لطريق هذه الدعوة ورجالها أبدا. فليعرف أصحابها في كل زمان وفي كل مكان ذلك الطريق ..[9]
فالمثبطون عن الجهاد يجلبون بخيلهم ورجلهم وبكل ما أوتوا من قدرة كل ذلك ليمنعوا العبد من الجهاد وبالتالي يمنعون الأمة من السير على طريق العزة،والمجاهد حينما يخرج للجهاد يكون قد حقق انتصاراً على الخوالف المثبطين،فبعد انتصاره على نفسه وشهوته ودنياه انتصر على شيطانه

---

[9] - فى ظلال القرآن ـ موافقا للمطبوع - (3 / 1682)

ومن ثم انتصر على المخذِّلين من بني جلدته الذين يتحدثون بلسانه.

المعنى الخامس
انتصار العقيدة والإيمان

وهو أن يَثْبُت المؤمنون على إيمانهم وأن يضحوا بأبدانهم حماية لأديانهم وأن يؤثروا أن تخرج أرواحهم ولا يخرج الإيمان من قلوبهم،فهذا نصر للعقيدة ونصر للإيمان.
فنبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام يلقى في النار فلا يرجع عن عقيدته ولا عن الدعوة إليها،أكان في موقف نصر أم في موقف هزيمة؟
ما من شك في منطق العقيدة أنه كان في قمة النصر وهو يلقى في النار،مع أن الذين ألقوه في النار يرون أنفسهم قد هزموه،كما أنه انتصر مرة أخرى،وهو ينجو من النار.
هذه صورة وتلك صورة،وهما في الظاهر بعيد من بعيد،فأما في الحقيقة فهما قريب من قريب!
إن المجاهد حينما يثبت على طريق الجهاد وعلى مبادئ هذه الشعيرة رغم ما يصيبه من نصب وشدة وما يعرض له من تثبيط إن هذا وحده يعد إنتصاراً بمفرده والله تعالى يقول: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ

الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ [إبراهيم: 27]).
فمن ثبت على طريق الجهاد واستمر بأداء هذه الشعيرة وأصبح من أهل هذه الآية ألا يعدُّ ذلك نصراً له؟ بلى والله،فكم رأينا من جاهد وانتصر في الميدان ولكن مبادئه هزمت وقناعاته تغيرت وخدم شهوته ودنياه بما تحصل له من طريق الجهاد،وكم رأينا آخرين لم يصبهم من الشدة والشقاء ما أصاب غيرهم ممن لا يزال ثابتاً يجاهد،وهم لم يهزموا في الميدان ولكن الدنيا هزمت مبادئهم وهزمت قناعتهم،لفَّتهم تيارات فاسدة فأصبحوا لها خدماً يخذلون ويعتذرون لهزيمة قناعتهم بآلاف الأعذار،أليست هذه هي الهزيمة والثبات على المبدأ هو النصر الحقيقي؟.
وهذا خبر الغلام في قصة أصحاب الأخدود حين عجز الملك عن قتله فقال له: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ،فَإِنْ أَنْتَ فَعَلْتَ مَا آمُرُكَ بِهِ قَتَلْتَنِي،وَإِلاَّ فَإِنَّكَ لاَ تَسْتَطِيعُ قَتْلِي،قَالَ:وَمَا هُوَ ؟ قَالَ:تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ،ثُمَّ تَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ فَتَأْخُذُ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي،ثُمَّ قُلْ:بِسْمِ اَللهِ رَبِّ الْغُلاَمِ،فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي،فَفَعَلَ

وَوَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ قَوْسِهِ ثُمَّ رَمَى فَقَالَ:بِسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلاَمِ،فَوَضَعَ السَّهْمَ فِي صُدْغِهِ فَوَضَعَ الْغُلاَمُ يَدَهُ عَلَى مَوْضِعِ السَّهْمِ وَمَاتَ فَقَالَ النَّاسُ:آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلاَمِ،فَقِيلَ لِلْمَلِكِ:أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ ؟ فَقَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ،قَدْ آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ،فَأَمَرَ بِأَفْوَاهِ السِّكَكِ فَخُدِّدَتْ فِيهَا الأُخْدُودُ وَأُضْرِمَتْ فِيهَا النِّيرَانُ،وَقَالَ:مَنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ فَدَعُوهُ،وَإِلاَّ فَأَقْحِمُوهُ فِيهَا،قَالَ:فَكَانُوا يَتَعَادَوْنَ فِيهَا وَيَتَدَافَعُونَ،فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ بِابْنٍ لَهَا تُرْضِعُهُ،فَكَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِي النَّارِ،فَقَالَ الصَّبِيُّ:يَا أُمَّهْ،اصْبِرِي،فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ...[10]

فانظروا كيف ضحَّى هذا الغلام بحياته من أجل الدعوة،وهذا ما يجب على الدعاة إلى الله عز وجل،أن لا يبخلوا بشيء في سبيل نشر دعوتهم،ولو أنفقوا حياتهم ثمناً لإيمان الناس.

وسجل الله عز وجل لنا في كتابه الخالد خاتمة القصة،وعاقبة الفريقين في الآخرة فقال عز وجل: قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا

---

[10] - صحيح مسلم (7703) ومسند أحمد (عالم الكتب) - (7 / 926)(23931) 24428

يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُواْ بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَاواتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلّ شَىْء شَهِيدٌ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُواْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ إِنَّ الَّذِينَ ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ [البروج:4-11].

وكذلك السحرة عندما أيقنوا أن الذي جاء به موسى عليه السلام ليس سحراً،بل معجزة ربانية خارقة للعادة { قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (121) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (122) قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (123) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (124) قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (125) وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (126) } [الأعراف:121 - 126]

وهو رب موسى وهارون،وهو الذي يجب أن تصرف له العبادة وحده دون مَن سواه.

قال فرعون للسحرة: آمنتم بالله قبل أن آذن لكم بالإيمان به؟ إن إيمانكم بالله

وتصديقكم لموسى وإقراركم بنبوته لحيلة احتلتموها أنتم وموسى; لتخرجوا أهل مدينتكم منها،وتكونوا المستأثرين بخيراتها،فسوف تعلمون -أيها السحرة- ما يحلُّ بكم من العذاب والنكال.
لأقطعنَّ أيديكم وأرجلكم -أيها السحرة- من خلاف: بقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى،أو اليد اليسرى والرجل اليمنى،ثم لأعلقنَّكم جميعًا على جذوع النخل; تنكيلا بكم وإرهابًا للناس.
قال السحرة لفرعون: قد تحققنا أنَّا إلى الله راجعون،وأن عذابه أشد من عذابك،فلنصبرنَّ اليوم على عذابك; لِننجو من عذاب الله يوم القيامة.
ولستَ تعيب منا وتنكر -يا فرعون- إلا إيماننا وتصديقنا بحجج ربنا وأدلته التي جاء بها موسى ولا تقدر على مثلها أنت ولا أحد آخر سوى الله الذي له ملك السموات والأرض،ربنا أَفِضْ علينا صبرًا عظيمًا وثباتا عليه،وتوفَّنا منقادين لأمرك متبعين رسولك.[11]
إن السحرة هم أعلم الناس بحقيقة فنهم،ومدى ما يمكن أن يبلغ إليه. وهم

[11] - التفسير الميسر - (3 / 83)

أعرف الناس بالذي جاء به موسى إن كان من السحر والبشر،أم من القدرة التي وراء مقدور البشر والسحر. والعالم في فنه هو أكثر الناس استعدادا للتسليم بالحقيقة فيه حين تتكشف له،لأنه أقرب إدراكا لهذه الحقيقة،ممن لا يعرفون في هذا الفن إلا القشور .. ومن هنا تحول السحرة من التحدي السافر إلى التسليم المطلق،الذي يجدون برهانه في أنفسهم عن يقين .. ولكن الطواغيت المتجبرين لا يدركون كيف يتسرب النور إلى قلوب البشر ولا كيف تمازجها بشاشة الإيمان ولا كيف تلمسها حرارة اليقين. فهم لطول ما استعبدوا الناس يحسبون أنهم يملكون تصريف الأرواح وتقليب القلوب - وهي بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء - .. ومن ثم فوجىء فرعون بهذا الإيمان المفاجئ الذي لم يدرك دبيبه في القلوب ولم يتابع خطاه في النفوس ولم يفطن إلى مداخله في شعاب الضمائر .. ثم هزته المفاجأة الخطيرة التي تزلزل العرش من تحته:مفاجأة استسلام السحرة - وهم من كهنة المعابد - لرب العالمين. رب موسى وهارون. بعد أن كانوا مجموعين لإبطال

دعوة موسى وهارون إلى رب العالمين! .. والعرش والسلطان هما كل شيء في حياة الطواغيت .. وكل جريمة يمكن أن يرتكبوها بلا تحرج في سبيل المحافظة على الطاغوت:«قالَ فِرْعَوْنُ:آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ! إِنَّ هذا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْها أَهْلَها. فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ. لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ،ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ» ..
هكذا .. «آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ!» .. كأنما كان عليهم أن يستأذنوه في أن تنتفض قلوبهم للحق - وهم أنفسهم لا سلطان لهم عليها - أو يستأذنوه في أن ترتعش وجداناتهم - وهم أنفسهم لا يملكون من أمرها شيئا - أو يستأذنوه في أن تشرق أرواحهم - وهم أنفسهم لا يمسكون مداخلها. أو كأنما كان عليهم أن يدفعوا اليقين وهو ينبت من الأعماق. أو أن يطمسوا الإيمان وهو يترقرق من الأغوار. أو أن يحجبوا النور وهو ينبعث من شعاب اليقين! ولكنه الطاغوت جاهل غبي مطموس وهو في الوقت ذاته متعجرف متكبر مغرور!

ثم إنه الفزع على العرش المهدد والسلطان المهزوز:« إِنَّ هذا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْها أَهْلَها» ..وفي نص آخر:«إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ»!
والمسألة واضحة المعالم .. إنها دعوة موسى إلى «رب العالمين» .. هي التي تزعج وتخيف .. إنه لا بقاء ولا قرار لحكم الطواغيت مع الدعوة إلى رب العالمين.
وهم إنما يقوم ملكهم على تنحية ربوبية اللّه للبشر بتنحية شريعته. وإقامة أنفسهم أربابا من دون اللّه يشرعون للناس ما يشاءون،ويعبدون الناس لما يشرعون! .. إنهما منهجان لا يجتمعان ... أو هما دينان لا يجتمعان .. أو هما ربان لا يجتمعان ..
وفرعون كان يعرف وملؤه كانوا يعرفون .. ولقد فزعوا للدعوة من موسى وهارون إلى رب العالمين. فأولى أن يفزعوا الآن وقد ألقي السحرة ساجدين. قالوا:آمنا برب العالمين. رب موسى وهارون! والسحرة من كهنة الديانة الوثنية التي تؤله فرعون،وتمكنه من رقاب الناس باسم الدين! وهكذا أطلق فرعون ذلك التوعد الوحشي الفظيع :«فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ. لَأُقَطِّعَنَّ

أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ،ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ» ..
إنه التعذيب والتشويه والتنكيل .. وسيلة الطواغيت في مواجهة الحق،الذي لا يملكون دفعه بالحجة والبرهان .. وعدة الباطل في وجه الحق الصريح ..
ولكن النفس البشرية حين تستعلن فيها حقيقة الإيمان تستعلي على قوة الأرض،وتستهين ببأس الطغاة وتنتصر فيها العقيدة على الحياة،وتحتقر الفناء الزائل إلى جوار الخلود المقيم. إنها لا تقف لتسأل:ماذا ستأخذ وماذا ستدع؟ ماذا ستقبض وماذا ستدفع؟ ماذا ستخسر وماذا ستكسب؟ وماذا ستلقى في الطريق من صعاب وأشواك وتضحيات؟ .. لأن الأفق المشرق الوضيء أمامها هناك،فهي لا تنظر إلى شيء في الطريق ..
« قالُوا:إِنَّا إِلى رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ .. وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا. ربنا أفرغ علينا صبرا،وتوفنا مسلمين» ..
إنه الإيمان الذي لا يفزع ولا يتزعزع. كما أنه لا يخضع أو يخنع. الإيمان الذي يطمئن إلى النهاية فيرضاها،ويستيقن من الرجعة إلى

ربه فيطمئن إلى جواره :«قالُوا:إِنَّا إِلى رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ» ..
والذي يدرك طبيعة المعركة بينه وبين الطاغوت .. وأنها معركة العقيدة في الصميم .. لا يداهن ولا يناور ..
ولا يرجو الصفح والعفو من عدو لن يقبل منه إلا ترك العقيدة،لأنه إنما يحاربه ويطارده على العقيدة:«وَما تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآياتِ رَبِّنا لَمَّا جاءَتْنا» ..
والذي يعرف أين يتجه في المعركة،وإلى من يتجه لا يطلب من خصمه السلامة والعافية،إنما يطلب من ربه الصبر على الفتنة والوفاة على الإسلام:«رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً وَتَوَفَّنا مُسْلِمِينَ» ..
ويقف الطغيان عاجزا أمام الإيمان،وأمام الوعي،وأمام الاطمئنان .. يقف الطغيان عاجزا أمام القلوب التي خيل إليه أنه يملك الولاية عليها كما يملك الولاية على الرقاب! ويملك التصرف فيها كما يملك التصرف في الأجسام. فإذا هي مستعصية عليه،لأنها من أمر اللّه،لا يملك أمرها إلا اللّه .. وماذا يملك الطغيان إذا رغبت القلوب في جوار اللّه؟ وماذا يملك الجبروت إذا اعتصمت القلوب باللّه؟ وماذا يملك السلطان إذا رغبت

القلوب عما يملك السلطان! إنه موقف من المواقف الحاسمة في تاريخ البشرية. هذا الذي كان بين فرعون وملئه،والمؤمنين من السحرة ..السابقين ..
إنه موقف حاسم في تاريخ البشرية. بانتصار العقيدة على الحياة. وانتصار العزيمة على الألم. وانتصار «الإنسان» على «الشيطان»!
إنه موقف حاسم في تاريخ البشرية. بإعلان ميلاد الحرية الحقيقية. فما الحرية إلا الاستعلاء بالعقيدة على جبروت المتجبرين وطغيان الطغاة. والاستهانة بالقوة المادية التي تملك أن تتسلط على الأجسام والرقاب وتعجز عن استذلال القلوب والأرواح. ومتى عجزت القوة المادية عن استذلال القلوب فقد ولدت الحرية الحقيقية في هذه القلوب.
إنه موقف حاسم في تاريخ البشرية بإعلان إفلاس المادية! فهذه القلة التي كانت منذ لحظة تسأل فرعون الأجر على الفوز،وتمنى بالقرب من السلطان .. هي ذاتها التي تستعلي على فرعون وتستهين بالتهديد والوعيد،وتقبل صابرة محتسبة على التنكيل والتصليب. وما تغير في حياتها شي ء،ولا تغير من حولها شي ء - في عالم المادة -

إنما وقعت اللمسة الخفية التي تسلك الكوكب المفرد في الدورة الكبرى. وتجمع الذرة التائهة إلى المحور الثابت،وتصل الفرد الفاني بقوة الأزل والأبد .. وقعت اللمسة التي تحوّل الإبرة،فيلتقط القلب إيقاعات القدرة،ويتسمع الضمير أصداء الهداية،وتتلقى البصيرة إشراقات النور .. وقعت اللمسة التي لا تنتظر أي تغيير في الواقع المادي ولكنها هي تغير الواقع المادي وترفع «الإنسان» في عالم الواقع إلى الآفاق التي لم يكن يطمح إليها الخيال! ويذهب التهديد .. ويتلاشى الوعيد .. ويمضي الإيمان في طريقه. لا يتلفت،ولا يتردد،ولا يحيد! ويسدل السياق القرآني الستار على المشهد عند هذا الحد ولا يزيد .. إن روعة الموقف تبلغ ذروتها وتنتهي إلى غايتها. وعندئذ يتلاقى الجمال الفني في العرض مع الهدف النفسي للقصة،على طريقة القرآن في مخاطبة الوجدان الإيماني بلغة الجمال الفني،في تناسق لا يبلغه إلا القرآن.

ينبغي أن نقف وقفة قصيرة أمام هذا المشهد الباهر الأخاذ ...

نقف ابتداء أمام إدراك فرعون وملئه أن إيمان السحرة برب العالمين،رب موسى

وهارون،يمثل خطرا على نظام ملكهم وحكمهم لتعارض القاعدة التي يقوم عليها هذا الإيمان،مع القاعدة التي يقوم عليها ذلك السلطان .. وقد عرضنا لهذا الأمر من قبل .. ونريد أن نقرر هذه الحقيقة ونؤكدها .. إنه لا يجتمع في قلب واحد،ولا في بلد واحد،ولا في نظام حكم واحد،أن يكون اللّه رب العالمين،وأن يكون السلطان في حياة الناس لعبد من العبيد،يباشره بتشريع من عنده وقوانين .. فهذا دين وذلك دين .. ونقف بعد ذلك أمام إدراك السحرة - بعد أن أشرق نور الإيمان في قلوبهم،وجعل لهم فرقانا في تصورهم - أن المعركة بينهم وبين فرعون وملئه هي معركة العقيدة وأنه لا ينقم منهم إلا إيمانهم برب العالمين.

فهذا الإيمان على هذا النحو يهدد عرش فرعون وملكه وسلطانه ويهدد مراكز الملأ من قومه وسلطانهم المستمد من سلطان فرعون ... أو بتعبير آخر مرادف:من ربوبية فرعون،ويهدد القيم التي يقوم عليها المجتمع الوثني كله .. وهذا الإدراك لطبيعة المعركة ضروري لكل من يتصدى للدعوة إلى ربوبية اللّه وحده. فهو وحده الذي أهل هؤلاء المؤمنين للاستهانة بما يلقونه في

سبيله .. إنهم يقدمون على الموت مستهينين ليقينهم بأنهم هم المؤمنون برب العالمين وأن عدوهم على دين غير دينهم لأنه بمزاولته للسلطان وتعبيد الناس لأمره ينكر ربوبية رب العالمين .. فهو إذن من الكافرين .. وما يمكن أن يمضي المؤمنون في طريق الدعوة إلى رب العالمين - على ما ينتظرهم فيها من التعذيب والتنكيل - إلا بمثل هذا اليقين بشقيه:أنهم هم المؤمنون،وأن أعداءهم هم الكافرون،وأنهم إنما يحاربونهم على الدين،ولا ينقمون منهم إلا الدين.

ونقف بعد ذلك أمام الروعة الباهرة لانتصار العقيدة على الحياة. وانتصار العزيمة على الألم. وانتصار «الإنسان» على الشيطان. وهو مشهد بالغ الروعة .. نعترف أننا نعجز عن القول فيه. فندعه كما صوره النص القرآني الكريم! ثم نعود إلى سياق القصة القرآني .. حيث يرفع الستار عن مشهد رابع جديد .. إنه مشهد التآمر والتناجي بالإثم والتحريض. بعد الهزيمة والخذلان في معركة الإيمان والطغيان. مشهد الملأ من قوم فرعون يكبر عليهم أن يذهب موسى ناجيا والذين آمنوا معه - وما آمن له إلا ذرية من

قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم. كما جاء في موضع آخر من القرآن - فإذا الملأ يتناجون بالشر والإثم،وهم يهيجون فرعون على موسى ومن معه ويخوفونه عاقبة التهاون في أمرهم من ضياع الهيبة والسلطان باستشراء العقيدة الجديدة،في ربوبية اللّه للعالمين. فإذا هو هائج مائج،مهدد متوعد،مستعز بالقوة الغاشمة التي بين يديه،وبالسلطان المادي الذي يرتكن إليه! «وَقالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ:أَتَذَرُ مُوسى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ؟ قالَ:سَنُقَتِّلُ أَبْناءَهُمْ،وَنَسْتَحْيِي نِساءَهُمْ،وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قاهِرُونَ» ..

إن فرعون لم يكن يدعي الألوهية بمعنى أنه هو خالق هذا الكون ومدبره أو أن له سلطانا في عالم الأسباب الكونية. إنما كان يدعي الألوهية على شعبه المستذل! بمعنى أنه هو حاكم هذا الشعب بشريعته وقانونه وأنه بإرادته وأمره تمضي الشئون وتقضى الأمور. وهذا ما يدعيه كل حاكم يحكم بشريعته وقانونه،وتمضي الشؤون وتقضى الأمور بإرادته وأمره - وهذه هي الربوبية بمعناها اللغوي والواقعي - كذلك لم يكن

الناس في مصر يعبدون فرعون بمعنى تقديم الشعائر التعبدية له - فقد كانت لهم آلهتهم وكان لفرعون آلهته التي يعبدها كذلك،كما هو ظاهر من قول الملأ له:«ويذرك وآلهتك» وكما يثبت المعروف من تاريخ مصر الفرعونية. إنما هم كانوا يعبدونه بمعنى أنهم خاضعون لما يريده بهم،لا يعصون له أمرا،ولا ينقضون له شرعا .. وهذا هو المعنى اللغوي والواقعي والاصطلاحي للعبادة .. فأيما ناس تلقوا التشريع من بشر وأطاعوه فقد عبدوه،وذلك هو تفسير رسول اللّه - ﷺ - لقوله تعالى عن اليهود والنصارى:«اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ ... الآية» عند ما سمعها منه عدي بن حاتم - وكان نصرانيا جاء ليسلم - فقال:يا رسول اللّه ما عبدوهم. فقال له رسول اللّه - ﷺ -:«بلى إنهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم،فذلك عبادتهم إياهم» ... (أخرجه الترمذي).

أما قول فرعون لقومه:«ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرِي» .. فيفسره قوله الذي حكاه القرآن عنه:«أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهذِهِ الْأَنْهارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي،أَفَلا تُبْصِرُونَ؟ أَمْ أَنَا

خَيْرٌ مِنْ هذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ. وَلا يَكادُ يُبِينُ؟ فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ؟» .. وظاهر أنه كان يوازن بين ما هو فيه من ملك ومن أسورة الذهب التي يحلى بها الملوك،وبين ما فيه موسى من تجرد من السلطان والزينة!.
وما قصد بقوله:«ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرِي» إلا أنه هو الحاكم المسيطر الذي يسيرهم كما يشاء والذي يتبعون كلمته بلا معارض! والحاكمية على هذا النحو ألوهية كما يفيد المدلول اللغوي! وهي في الواقع ألوهية. فالإله هو الذي يشرع للناس وينفذ حكمه فيهم! سواء قالها أم لم يقلها![12]
إنَّ قافلة الإيمان تسير يتقدمها الأنبياء الكرام والصديقون والشهداء.
{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} (23) سورة الأحزاب
ما جفت الأرض من دماء الشهداء في عصر من العصور،ولا خلت الأرض من مخلص يقدم للأمة نموذجاً،فيموت هو،وينتشر الخير بعده بسببه.

[12] - فى ظلال القرآن ـ موافقا للمطبوع - (3 / 1350)

فهذا صاحب الظلال رحمه الله كان قتله انتصاراً لمنهجه الذي عاش من أجله ومات في سبيله،بذل حياته كلها من أجل أن يبين أن الحكم من أمور العقيدة والتحاكم إلى غير شرع الله،والحكم بغير حكمه كفر بالله عز وجل: { إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ} (40) سورة يوسف،وقال تعالى: {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ }[المائدة:44].

وبعد أن حكم عليه بالإعدام وقبل أن ينفذ فيه الحكم الظالم كتب هذه الأبيات وكتب الله عز وجل لها الحياة وخرجت من وراء القضبان تقول للعالم.

أخـي أنت حــرٌ وراء السـدود أخــي أنت حـــرٌ بتلك القيود

إذا كـنـت بالله مستعـصـــما فمـــــاذا يضيرك كيـد العبيـد

أخــــي ستبيد جيوش الظـلام ويشـــــرق في الكون فجر جديد

فــأطلق لروحــك إشراقــها تـرى الفـجر يرمـقـنا من بعـيد

أخــــي قد أصابك سهـم ذليل وغـــدرا رمـاك ذراعٌ كـليـل

ستُبترُ يــومـا فصـبـر جـميل ولم يَـدْمَ بعـدُ عريـنُ الأســود

أخـي قد سرت مـن يديـك الدماء أبت أن تُشـــلّ بقيـد الإمــاء
سـتـرفعُ قُــربـانهـا للسمــاء مـخـضـبة بدمـاء الخـلــود
أخـي هل تُـراك سئـمـت الكفاح وألقـيت عن كاهـليك السـلاح
فمن للضحـأيـا يواسـي الجـراح ويرفـع رايـاتها مـن جـديــد
أخـي هـل سمـعت أنـين التراب تـدُكّ حَصـاه جيـوشُ الخــراب
تُـمَـزقُ أحشـاءه بالحـــراب وتصـفـعـهُ وهو صلـب عنيـد
أخـي إنـني اليـوم صـلب المراس أدُك صخـور الجبـال الــرواس
غـدا سأشـيح بفـأس الخــلاص رءوس الأفــاعي إلى أن تـبــيد
أخـي إن ذرفـت علـىّ الدمـوع وبللّـت قـبري بهـا في خشــوع
فأوقد لهـم من رفـاتي الشمــوع وسـيروا بهـا نحـو مجـد تلــيد
أخـي إن نمُـتْ نـلـقَ أحـبابـنا فــروْضـاتُ ربي أعــدت لـنا
وأطـيـارُها رفـرفـت حـولـنا فـطوبى لـنا في ديـار الخـلــود
أخــي إنـني ما سـئمت الكفاح ولا أنـا أقـيـت عـني السـلاح
وإن طـوقـتـني جيـوشُ الظــلام فإني عـلى ثـقـة ... بالصـبـاح

وإني عـلى ثقـة مـن طـريقــي إلى الله رب السـنـا والشــروق
فإن عـافـني السَّـوقُ أو عَـقَّـنِي فـإني أمـين لعـهـدي الوثـيـق
أخــي أخــذوك عـلى إثـرنا وفـوج على إثر فـجـرٍ جـديـد
فـإن أنـــا مُـتّ فـإنيٍ شـهيد وأنت ستمـضي بـنـصر مجـيـد
قـد اختـارنا الله في دعـــــوته وإنا سـنـمـضي عـلى سُـنـته
فـمــنا الـذين قــضوا نحبهم ومـنا الحـفـيـظ عـلى ذِمـتـه
أخـي فامـض لا تلتـفـت للوراء طريقـك قد خـضبته الدمـــاء
ولا تـلـتـفت هـهنا أو هـنـاك ولا تـتـطلع لـغـيـر السـمـاء
فـلسـنا بطـير مهـيض الجنـاح ولن نستـذل .. ولن نسـتـبـاح
وإنـي لأسمـع صـوت الدمــاء قـويا ينـادي الكـفـاحَ الكفـاح
سـأثـــأرُ لكـن لـربٍ وديـن وأمـضي عـلى سـنـتي في يقـين
فـإما إلى النـصـر فـوق الأنـام وإمـا إلى الله في الـخــالـديـن

إنه نصر وأيّ نصر،إنه أعظم وأجلّ من انتصارات كثير من المعارك والتي سرعان ما تنتهي بانتهائها،أما هذا النصر فإنه يبقى ما شاء الله أن يبقى.

وكم من شهيد ما كان يملك أن ينصر عقيدته ودعوته،ولو عاش ألف عام،كما نصرها باستشهاده،ويظن أعداؤه أنهم قد انتصروا عليه،وما كان يملك أن يودع القلوب من المعاني الكبيرة ويحفز الألوف إلى الأعمال الكبيرة بخطبة مثل خطبته الأخيرة التي كتبها بدمه،فتبقى حافزاً ومحركاً للأبناء والأحفاد،وربما كانت حافزاً ومحركاً لخطى التاريخ كله مدى أجيال.



المعنى السادس
الفداء لهذا الدين هو انتصار بنفسه

وبخروج العبد للجهاد يكون قد حقق انتصاراً آخراً وذلك حينما يبذل نفسه ووقته وماله في سبيل مبادئه ونصرة لمعتقده ودينه،فإن الفداء لهذا الدين هو انتصار بنفسه سواء كانت له الغلبة أم لعدوه،فبما أنه علا بمبدئه وقاتل من أجله وبذل نفسه رخيصة له،فإن ذلك علو حقيقي حتى لو هزم في الميدان فقد قال الله تعالى لرسوله ولأصحابه عندما هزموا في أحد: (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [آل عمران: 139])
لا تهنوا - من الوهن والضعف - ولا تحزنوا - لما أصابكم ولما فاتكم - وأنتم الأعلون .. عقيدتكم أعلى فأنتم تسجدون للّه وحده،وهم يسجدون لشيء من خلقه أو لبعض من خلقه! ومنهجكم أعلى. فأنتم تسيرون على منهج من صنع اللّه،وهم يسيرون على منهج من صنع خلق اللّه! ودوركم أعلى. فأنتم الأوصياء على هذه البشرية كلها،الهداة لهذه البشرية كلها،وهم شاردون عن النهج،ضالون عن الطريق.

ومكانكم في الأرض أعلى،فلكم وراثة الأرض التي وعدكم اللّه بها،وهم إلى الفناء والنسيان صائرون .. فإن كنتم مؤمنين حقا فأنتم الأعلون. وإن كنتم مؤمنين حقا فلا تهنوا ولا تحزنوا.[13]

لقد قتل منهم سبعون ومثل بهم وجرح رسول الله صلى الله عليهم وسلم وفر آخرون ثم تاب الله عليهم،إلا أن ذلك لا يغير من الحقيقة شيئاً بل رغم ذلك فإنهم في علو،فعلو المجاهد حصل عندما دخل ميدان النزال وخاض معركة الإسلام فهذا هو علوه،فانتصر على عدوه بعلوه،فعندما يجابه قوم عزل لا يملكون من السلاح إلا القليل وهم فقراء قلة ليس معهم إلا الإيمان،فمن أجل ماذا تجاهد الأمة عدوها وهي أقل منه عدداً وعدة؟ من أجل ماذا تجاهد الأمة عدوها وهزيمتها بالمقياس المادي البحت مؤكدة واقعة؟ أليست أمة لا تملك المقومات المادية نسبة لعدوها وتواجهه بعدما أعدت ما استطاعت أليست أمة منتصرة من مجرد بدء الصراع،إن الأمة التي تواجه بإيمانها عدوها المدجج بأحدث

---

[13] - فى ظلال القرآن ـ موافقا للمطبوع - (1 / 480)

الأسلحة والعتاد إنها أمة منتصرة بشموخها ومبادئها.
عندما يواجه من كان هذا حاله دول العالم بعدتها وعتادها وما تملكه من تكنلوجيا ألا يعدُّ هذا علوا ونصراً أرخص العبد فيه نفسه من أجل ما يعتقده؟ بلى والله إن التاريخ يكتب بمداده حياة الأبطال ولو كانت نهايتهم الشهادة،ومن خلد أكثر منهم وعاش في ذل فإن التاريخ لا يذكره بل يمقته،وما أكبر البون وأعظم الفرق بينهم عند رب العالمين.

وفي ثبات المجاهد على طريق الجهاد وعلى معتقده ومبادئه التي قاتل من أجلها،يكون قد حقق نصر المبدأ وعلو العقيدة والدين على طائفتين :

الطائفة الأولى: انتصر بمبادئه على مبادئ الضلال المِّلية من أهل البدع والخرافة والفلسفة التي أبعدت النجعة وكدرت صفو النصوص وأولتها وحرفتها عن أصلها من أجل إرجاع المجاهد عن مبادئه ،فإذا أصر وقاتل من أجلها ولم يستمع لما يطرح من أهل الضلال والتخذيل من شبه فإنه حقق نصراً عليهم.

الطائفة الثانية: انتصر بمبادئه على مبادئ أهل الكفر والزندقة والردة والإلحاد، فحينما يعلنها صريحة أنه يتمنى الموت في سبيل ما يعتقد وأن الموت لا يقدم في قناعاته ولا يؤخر شيئاً فإن ذلك يعدُّ من أعظم النصر.

ويتجلَّى ذلك النصر العظيم بموقف من كانوا سحرة لفرعون حينما هددهم بالقتل والصلب بعدما أعلنوا إيمانهم فقال: (فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى [طه:71]) فأجابوا بعزة المؤمن وبعلو منقطع النظير (قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا [طه:72]) وفي جواب آخر لهم قالوا: (وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ [الأعراف:126])

ولكنه كان قد فات الأوان. كانت اللمسة الإيمانية قد وصلت الذرة الصغيرة بمصدرها الهائل. فإذا هي قوية قويمة. وإذا القوى الأرضية كلها ضئيلة ضئيلة. وإذا الحياة الأرضية كلها زهيدة زهيدة. وكانت قد

تفتحت لهذه القلوب آفاق مشرقة وضيئة لا تبالي أن تنظر بعدها إلى الأرض وما بها من عرض زائل. ولا إلى حياة الأرض وما فيها من متاع تافه:«قالُوا:لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلى ما جاءَنا مِنَ الْبَيِّناتِ وَالَّذِي فَطَرَنا،فَاقْضِ ما أَنْتَ قاضٍ.إِنَّما تَقْضِي هذِهِ الْحَياةَ الدُّنْيا.إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنا لِيَغْفِرَ لَنا خَطايانا وَما أَكْرَهْتَنا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ،وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقى ».
إنها لمسة الإيمان في القلوب التي كانت منذ لحظة تعنو لفرعون وتعد القربى منه مغنما يتسابق إليه المتسابقون.
فإذا هي بعد لحظة تواجهه في قوة،وترخص ملكه وزخرفه وجاهه وسلطانه:« قالُوا:لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلى ما جاءَنا مِنَ الْبَيِّناتِ وَالَّذِي فَطَرَنا ...» فهي علينا أعز وأغلى وهو جل شأنه أكبر وأعلى. «فَاقْضِ ما أَنْتَ قاضٍ» ودونك وما تملكه لنا في الأرض. «إِنَّما تَقْضِي هذِهِ الْحَياةَ الدُّنْيا». فسلطانك مقيد بها،ومالك من سلطان علينا في غيرها. وما أقصر الحياة الدنيا،وما أهون الحياة الدنيا. وما تملكه لنا من عذاب أيسر من أن يخشاه قلب يتصل باللّه،ويأمل في الحياة الخالدة أبدا. «إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنا لِيَغْفِرَ لَنا خَطايانا وَما أَكْرَهْتَنا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ» مما كنت تكلفنا به

فلا نملك لك عصيانا فلعل بإيماننا بربنا يغفر لنا خطايانا. «وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقى » خير قسمة وجوارا،وأبقى مغنما وجزاء. إن كنت تهددنا بمن هو أشد وأبقى ...

ومضى هذا المشهد في تاريخ البشرية إعلانا لحرية القلب البشري باستعلائه على قيود الأرض وسلطان

وهنا يسدل الستار ليرفع على مشهد آخر وحلقة من القصة جديدة.

إنه مشهد انتصار الحق والإيمان في واقع الحياة المشهود،بعد انتصارهما في عالم الفكرة والعقيدة. فلقد مضى السياق بانتصار آية العصا على السحر وانتصار العقيدة في قلوب السحرة على الاحتراف وانتصار الإيمان في قلوبهم على الرغب والرهب،والتهديد والوعيد. فالآن ينتصر الحق على الباطل والهدى على الضلال،والإيمان على الطغيان في الواقع المشهود. والنصر الأخير مرتبط بالنصر الأول. فما يتحقق النصر في عالم الواقع إلا بعد تمامه في عالم الضمير وما يستعلي أصحاب الحق في الظاهر إلا بعد أن يستعلوا بالحق في الباطن .. إن للحق والإيمان حقيقة متى تجسمت في المشاعر أخذت طريقها فاستعلنت

ليراها الناس في صورتها الواقعية. فأما إذا ظل الإيمان مظهرا لم يتجسم في القلب،والحق شعارا لا ينبع من الضمير،فإن الطغيان والباطل قد يغلبان،لأنهما يملكان قوة مادية حقيقية لا مقابل لها ولا كفاء في مظهر الحق والإيمان ..[14]

إن هذا لهو النصر العظيم الثبات على المبدأ حتى الممات.

ويتجلى النصر أيضاً بقصة خبيب رضي الله عنه عندما كان مصلوباً بين أيدي كفار قريش وليس بينه وبين الموت إلا لحظات حيث قَالَ خُبَيْبٌ وَهُمْ يَرْفَعُونَهُ عَلَى الْخَشَبَةِ:اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا،وَاقْتُلْهُمْ بَدَدًا،وَلَا تُبْقِ مِنْهُمْ أَحَدًا . وَقَتَلَ خُبَيْبًا أَبْنَاءُ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ،فَلَمَّا وَضَعُوا فِيهِ السِّلَاحَ وَهُوَ مَصْلُوبٌ نَادَوْهُ وَنَاشَدُوهُ:أَتُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّدًا مَكَانَكَ،فَقَالَ:لَا وَاللَّهِ الْعَظِيمِ،مَا أُحِبُّ أَنْ يَفْدِيَنِي بِشَوْكَةٍ يُشَاكُهَا فِي قَدَمِهِ . فَضَحِكُوا،وَقَالَ خُبَيْبٌ حِينَ رَفَعُوهُ إِلَى الْخَشَبَةِ :

لَقَدْ جَمَعَ الْأَحْزَابُ حَوْلِي وَأَلَّبُوا... قَبَائِلَهُمْ وَاسْتَجْمَعُوا كُلَّ مَجْمَعِ

---

[14] - فى ظلال القرآن ـ موافقا للمطبوع - (4 / 2343)

وَقَدْ جَمَعُوا أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ ....وَقُرِّبْتُ مِنْ جِذْعٍ طَوِيلٍ مُمَنَّعِ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو غُرْبَتِي ثُمَّ كُرْبَتِي وَمَا أَرْصَدَ الْأَحْزَابُ لِي عِنْدَ مَصْرَعِي
فَذَا الْعَرْشِ صَبِّرْنِي عَلَى مَا يُرَادُ بِي فَقَدْ بَضَعُوا لَحْمِي وَقَدْ بَانَ مَطْمَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ........ يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ
لَعَمْرِي مَا أَحْفُلُ إِذَا مُتُّ مُسْلِمًا .....عَلَى أَيِّ حَالٍ كَانَ لِلَّهِ مَضْجَعِي[15]
وعَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ:" أَنَّ نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ فِيهِمْ أَبُو سُفْيَانَ حَضَرُوا قَتْلَ زَيْدٍ فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ:يَا زَيْدُ،أَنْشِدُكَ اللَّهَ،أَتُحِبُّ أَنَّكَ الْآنَ فِي أَهْلِكَ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عِنْدَنَا مَكَانَكَ نَضْرِبُ عُنُقَهُ ؟ قَالَ:لَا وَاللَّهِ،مَا أُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّدًا يُشَاكُ فِي مَكَانِهِ بِشَوْكَةٍ تُؤْذِيهِ وَأَنِّي جَالِسٌ فِي أَهْلِي،قَالَ:يَقُولُ أَبُو سُفْيَانَ:وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِنَ قَوْمٍ قَطُّ أَشَدَّ حُبًّا لِصَاحِبِهِمْ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ لَهُ " [16]
ما أعظمه من نصر وعلو.
وكم من أمة قتلت وأبيدت وانتدثرت لم يخلد الله ذكرها ويثني عليها كما أثنى على

---

[15] - المعجم الكبير للطبراني - (5 / 214) (5146) حسن مرسل
[16] - الطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى لِابْنِ سَعْدٍ(1506) صحيح مرسل

أولئك الذين وصفهم بأنهم فازوا فوزاً كبيرا،لقد ساوم أهل الكفر أصحاب الأخدود على أمرين إما الرجوع عما هم عليه أو الموت حرقاً بالنار والثبات على المبادئ،فلم تكن نار الدنيا لترجعهم عما هم عليه،فآثروا النجاة من نار الآخرة بدخول نار الدنيا،فتهافتوا في النار كأنهم جراد بإقدام وفداء لم يرعهم منظر النيران العظيمة،بل دخلوا فيها لينتصروا،وعندما تقاعست امرأة واحدة وفكرت وغاب عنها مفهوم النصر أنطق الله رضيعها ليشرح لها مفهوم النصر الحقيقي والفوز الكبير،(فَقَالَ لَهَا الْغُلاَمُ يَا أُمَّهِ اصْبِرِى فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ)[17]،فقفزت في النار فانتصرت ورضيعها.

فخلد الله ذكرهم مادحاً لهم بما لم يمدح به أحداً قبلهم ولا بعدهم فقال: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ [البروج: 11]).

فكل مؤمن غاب عنه معنى النصر الحقيقي كتلك المرأة منهم،فإن هذه الآية وهذا المدح وهذه الشهادة تبين معنى النصر وتوضح ما غاب عن الأفهام.

---

[17] - انظرها مفصلة في صحيح مسلم (7703)

المعنى السابع
نصر الله عباده نصر حجة وبيان

ومن معاني النصر أن ينصر الله عباده نصر حجة وبيان وهو قريب من المعنى الذي سبق إلا أنه يفترق أن المبدأ المنتصر هنا لا يكون لازماً على المنتصر بل يتعدى إلى غيره سواء مات صاحبه أم لم يمت،المهم أن حجته تبلغ ويقتنع بها أقوام ولو كان مستضعفاً لم ينتصر نصراً ميدانياً،كما قال تعالى عن نصر حجة إبراهيم عليه السلام على قومه بعد مناظرتهم حيث قال: (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ [الأنعام:83]) والرفع هو الانتصار،وكذلك نصر الله إبراهيم على النمرود عندما حاجّه فقال الله: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ [البقرة: 258]).

هل رأيت -أيها الرسول- أعجب مِن حال هذا الذي جادل إبراهيم عليه السلام في توحيد الله تعالى وربوبيته; لأن الله أعطاه المُلْك فتجبَّر وسأل إبراهيمَ: مَن ربُّك؟ فقال عليه السلام: ربي الذي يحيي الخلائق فتحيا،ويسلبها الحياة فتموت،فهو المتفرد بالإحياء والإماتة،قال: أنا أحيي وأميت،أي أقتل مَن أردتُ قَتْلَه،وأستبقي مَن أردت استبقاءه،فقال له إبراهيم: إن الله الذي أعبده يأتي بالشمس من المشرق،فهل تستطيع تغيير هذه السُّنَّة الإلهية بأن تجعلها تأتي من المغرب; فتحيَّر هذا الكافر وانقطعت حجته،شأنه شأن الظالمين لا يهديهم الله إلى الحق والصواب.[18]

إن هذا الملك الذي حاج إبراهيم في ربه لم يكن منكرا لوجود اللّه أصلا إنما كان منكرا لوحدانيته في الألوهية والربوبية ولتصريفه للكون وتدبيره لما يجري فيه وحده،كما كان بعض المنحرفين في الجاهلية يعترفون بوجود اللّه ولكنهم يجعلون له أندادا ينسبون إليها فاعلية وعملا في حياتهم! وكذلك كان منكرا أن الحاكمية للّه وحده،فلا حكم إلا حكمه في شؤون الأرض وشريعة المجتمع.

[18] - التفسير الميسر - (1 / 271)

إن هذا الملك المنكر المتعنت إنما ينكر ويتعنت للسبب الذي كان ينبغي من أجله أن يؤمن ويشكر. هذا السبب هو «أَنْ آتاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ» .. وجعل في يده السلطان! لقد كان ينبغي أن يشكر ويعترف،لولا أن الملك يطغي ويبطر من لا يقدرون نعمة اللّه،ولا يدركون مصدر الإنعام. ومن ثم يضعون الكفر في موضع الشكر ويضلون بالسبب الذي كان ينبغي أن يكونوا به مهتدين! فهم حاكمون لأن اللّه حكمهم،وهو لم يخولهم استعباد الناس بقسرهم على شرائع من عندهم ـ فهم كالناس عبيد للّه،يتلقون مثلهم الشريعة من اللّه،ولا يستقلون دونه بحكم ولا تشريع فهم خلفاء لا أصلاء![19]

وفي قصة انتصار مبدأ غلام أصحاب الأخدود دليلٌ واضحٌ على معنى نصر المبدأ،فقد قتل الغلام ولكن حجته ومبدأه انتصر وغلب كفر الملك وأسلم الناس جميعاً،فنصر الحجة بسبب مقتل الغلام وثباته قبل مماته كان نصراً ظاهراً هزم الكفر في عصره رغم ما يملكه الكفر من قوة وسطوة إلا أنه اندحر أمام ذلك الثبات والمبدأ والمعتقد العظيم.

[19] - فى ظلال القرآن ـ موافقا للمطبوع - (1 / 297)

والطائفة المنصورة أخبر الرسول بظهورها ونصرها ،فعَنْ ثَوْبَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - - « لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِى ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِىَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ »[20].

فهذا الظهور أدناه أنه ظهور حجة وبيان،وقد يكون معه ظهور دولة وسلطان،ولكن رغم خذلان الأمة لهم واجتماع أعدائهم عليهم فإنهم ظاهرون.

[20] - صحيح البخارى(7311) وصحيح مسلم(5059) وهذا لفظه

المعنى الثامن
هلاك الكافرين ونجاة المؤمنين

أن يهلك الله عز وجل الكافرين والمكذبين وينجي رسله وعباده المؤمنين،قال عز وجل حاكياً عن نوح عليه السلام:{ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ فَفَتَحْنَا أَبْوابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الماء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْواحٍ وَدُسُرٍ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَاء لِّمَن كَانَ كُفِرَ } [القمر:10-14].

انتهت طاقتي. انتهى جهدي. انتهت قوتي. وغلبت على أمري. «أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ» .. انتصر أنت يا ربي. انتصر لدعوتك. انتصر لحقك. انتصر لمنهجك. انتصر أنت فالأمر أمرك،والدعوة دعوتك. وقد انتهى دوري! وما تكاد هذه الكلمة تقال وما يكاد الرسول يسلم الأمر لصاحبه الجليل القهار،حتى تشير اليد القادرة القاهرة إلى عجلة الكون الهائلة الساحقة .. فتدور دورتها المدوية المجلجلة :«فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ. وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْماءُ عَلى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ» ..

وهي حركة كونية ضخمة غامرة تصورها ألفاظ وعبارات مختارة. تبدأ بإسناد الفعل إلى اللّه مباشرة:«فَفَتَحْنا» فيحس القارئ يد الجبار تفتح «أَبْوابَ السَّماءِ» .. بهذا اللفظ وبهذا الجمع. «بِماءٍ مُنْهَمِرٍ» .. غزير متوال. وبالقوة ذاتها وبالحركة نفسها:«وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً» .. وهو تعبير يرسم مشهد التفجر وكأنه ينبثق من الأرض كلها،وكأنما الأرض كلها قد استحالت عيونا. والتقى الماء المنهمر من السماء بالماء المتفجر من الأرض .. «عَلى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ» .. التقيا على أمر مقدر،فهما على اتفاق لتنفيذ هذا الأمر المقدر. طائعان للأمر،محققان للقدر.

حتى إذا صار طوفانا يطم ويعم،ويغمر وجه الأرض،ويطوي الدنس الذي يغشى هذا الوجه وقد يئس الرسول من تطهيره،وغلب على أمره في علاجه. امتدت اليد القوية الرحيمة إلى الرسول الذي دعا دعوته،فتحرك لها الكون كله. امتدت له هذه اليد بالنجاة وبالتكريم :«وَحَمَلْناهُ عَلى ذاتِ أَلْواحٍ وَدُسُرٍ. تَجْرِي بِأَعْيُنِنا جَزاءً لِمَنْ كانَ كُفِرَ» ..

وظاهر من العبارة تفخيم السفينة وتعظيم أمرها. فهي ذات ألواح ودسر . توصف ولا تذكر لفخامتها وقيمتها. وهي تجري في رعاية اللّه بملاحظة أعينه. «جَزاءً لِمَنْ كانَ كُفِرَ». وجحد وازدجر. وهو جزاء يمسح بالرعاية على الجفاء،وبالتكريم على الاستهزاء. ويصور مدى القوة التي يملك رصيدها من يغلب في سبيل اللّه. ومن يبذل طاقته،ثم يعود إليه يسلم له أمره وأمر الدعوة ويدع له أن ينتصر! .. إن قوى الكون الهائلة كلها في خدمته وفي نصرته. واللّه من ورائها بجبروته وقدرته.وعلى مشهد الانتصار الهائل الكامل والمحق الحاسم الشامل،يتوجه إلى القلوب التي شهدت المشهد كأنها تراه. يتوجه إليها بلمسة التعقيب،لعلها تتأثر وتستجيب:«وَلَقَدْ تَرَكْناها آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ؟» ..
هذه الواقعة بملابساتها المعروفة. تركناها آية للأجيال «فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ؟» يتذكر ويعتبر؟
ثم سؤال لإيقاظ القلوب إلى هول العذاب وصدق النذير :«فَكَيْفَ كانَ عَذابِي وَنُذُرِ؟» .. ولقد كان كما صوره القرآن. كان عذاباً مدمرا جبارا. وكان نذيرا صادقا بهذا العذاب.

وهذا هو القرآن حاضرا،سهل التناول،ميسر الإدراك،فيه جاذبية ليقرأ ويتدبر. فيه جاذبية الصدق والبساطة،وموافقة الفطرة،واستجاشة الطبع،لا تنفد عجائبه،ولا يخلق على كثرة الرد. وكلما تدبره القلب عاد منه بزاد جديد. وكلما صحبته النفس زادت له ألفة وبه أنسا:«وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ،فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ؟»[21] ..

ولما نصر الله عز وجل هوداً وصالحاً ولوطاً وشعيباً عليهم الصلاة والسلام،أهلك الله عز وجل الكافرين والمكذبين وأنجى رسله وعباده المؤمنين.

فالله تعالى قادر على أن يهلك عدوهم بقارعة من عنده ويكون سبب تلك القارعة هو جهاد المجاهدين،فقد يعجز المجاهدون عن هزيمة عدوهم في الميدان وهذا غالباً لعدم المكافأة في المعركة،ولكن الله قوي عزيز،وبما أن المجاهدين قد بذلوا السبب وعملوا بما أوتوا من قوة ووسع للإعداد لجهاد الأعداء،فإن الله سيجعل من مجهودهم البسيط ومواجهتهم الضعيفة سبباً لهلاك عدوهم بقارعة من عنده وأكد الله لنا ذلك بقوله: (كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً

[21] - فى ظلال القرآن ـ موافقا للمطبوع - (6 / 3430)

كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ [البقرة: 249] َ).
فهذه هي القاعدة في حس الذين يوقنون أنهم ملاقو اللّه. القاعدة:أن تكون الفئة المؤمنة قليلة لأنها هي التي ترتقي الدرج الشاق حتى تنتهي إلى مرتبة الاصطفاء والاختيار. ولكنها تكون الغالبة لأنها تتصل بمصدر القوى ولأنها تمثل القوة الغالبة. قوة اللّه الغالب على أمره،القاهر فوق عباده،محطم الجبارين،ومخزي الظالمين وقاهر المتكبرين.
وهم يكلون هذا النصر للّه:«بِإِذْنِ اللَّهِ» .. ويعللونه بعلته الحقيقية:«وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ» .. فيدلون بهذا كله على أنهم المختارون من اللّه لمعركة الحق الفاصلة بين الحق والباطل ..[22]
والقارعة التي حلَّت بفرعون من أجل جهاد موسى عليه السلام ومن معه توضح هذا الأمر،فإن الله تعالى قادر على أن يهلك فرعون قبل مجيء موسى عليه السلام أو بعد مجيء موسى،ولكن في أول إعراض فرعون وتكبره،ولكن الله أمهله حتى طغى وتجبر وخرج بخيله ورجله لإطفاء نور الله

---

[22] - فى ظلال القرآن ـ موافقا للمطبوع - (1 / 269)

تعالى،وفي الميدان حلت القارعة بفرعون وجنوده وكان السبب موسى عليه السلام فقال الله تعالى: (فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ [الشعراء:63]) وقال: (وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ [الأعراف:137]).
وهكذا يسدل الستار على مشهد الهلاك والدمار في جانب وعلى مشهد الاستخلاف والعمار في الجانب الآخر .. وإذا فرعون الطاغية المتجبر وقومه مغرقون،وإذا كل ما كانوا يصنعون للحياة،وما كانوا يقيمون من عمائر فخمة قائمة على عمد وأركان،وما كانوا يعرشون من كروم وثمار .. إذا هذا كله حطام،في ومضة عين،أو في بضع كلمات قصار! مثل يضربه اللّه للقلة المؤمنة في مكة،المطاردة من الشرك وأهله ورؤيا في الأفق لكل عصبة مسلمة تلقى من مثل فرعون وطاغوته،ما لقيه الذين كانوا يستضعفون في الأرض،فأورثهم اللّه مشارق الأرض ومغاربها المباركة - بما صبروا - لينظر كيف يعملون![23]

[23] - فى ظلال القرآن ـ موافقا للمطبوع - (3 / 1361)

ولما ظهر جهاد النبي ﷺ وأعرضت قريش عن الانصياع للحق سلط الله عليهم عذابه ليذعنوا لأمر النبي ﷺ فقد جاء في الصحيحين عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ إِنَّ النَّبِىَّ - ﷺ - لَمَّا رَأَى مِنَ النَّاسِ إِدْبَارًا قَالَ « اللَّهُمَّ سَبْعٌ كَسَبْعِ يُوسُفَ » . فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَصَّتْ كُلَّ شَىْءٍ حَتَّى أَكَلُوا الْجُلُودَ وَالْمَيْتَةَ وَالْجِيَفَ،وَيَنْظُرَ أَحَدُهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرَى الدُّخَانَ مِنَ الْجُوعِ،فَأَتَاهُ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ تَأْمُرُ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَبِصِلَةِ الرَّحِمِ وَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا،فَادْعُ اللَّهَ لَهُمْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ (10) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (11) رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (12) أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ (13) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ (14) إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (15) يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ (16) [الدخان:10 - 16]) فَالْبَطْشَةُ يَوْمَ بَدْرٍ،وَقَدْ مَضَتِ الدُّخَانُ وَالْبَطْشَةُ وَاللِّزَامُ وَآيَةُ الرُّومِ . [24]

---

[24] - صحيح البخارى(1007) وصحيح مسلم (7244)
حصت : استأصلت

كل ما أصابهم كان بسبب جهاد النبي ﷺ لهم وكان ذلك بعد الهجرة وتشريع الجهاد،ولم يصبهم ما أصابهم بسبب جيش النبي ﷺ في ميدان المعركة،فالرسول ﷺ قتل من قريش ما لا يزيد عن 200 رجل في معاركه معهم،وهم قتلوا من المسلمين قريباً من نصف هذا العدد،ولكن الله أصاب قريشاً بقارعة من عنده أذعنت لأمر رسول الله ﷺ فهدى منهم أقواماً وأهلك آخرين على كفرهم.

وفي عصرنا الحاضر أكد زوال الاتحاد السوفيتي هذه الحقيقة فلم يكن المجاهدون في ميدان المعركة أقوى ولا أقدر ولا أكثر من السوفييت،ولكن بحربهم لدين الله تعالى وقتلهم لأوليائه،تتابعت عليهم المحن والبلايا والفقر والفساد حتى سقط الاتحاد السوفيتي،فمن قال إنه سقط بسبب النظام الشيوعي الاشتراكي فهاهي دول لا زالت على ذلك النظام ولم تسقط،ومن قال بسبب ديونهم فأمريكا وقت سقوط الاتحاد السوفيتي كانت أكثر ديوناً منها لا سيما الديون الداخلية،ومن قال بسبب الحكم العسكري الدكتاتوري لها،فلا تزال دولاً أشد منها حكماً عسكرياً باقية،و الناظر لأسباب

سقوط الاتحاد السوفيتي لا يمكن أن يبدي أسباباً أعظم من حربهم للدين وجهاد المجاهدين لهم،والشواهد من التاريخ ومن قصص الأنبياء أكثر من أن تحصر وكلها تدل على أن جهاد المجاهدين هو السبب الرئيسي لإحلال العذاب والدمار على من حاربهم،فالجهاد سبب لهلاك الكافرين والنصر للمؤمنين من عند الله تعالى،ولو لم نر النصر عاجلاً فإنه يوشك أن يكون،ولا يوجد في التاريخ قوم هلكوا بدون سبب وكل القوارع التي حلت بالكافرين كان بسبب جهاد رسلهم لهم أو بسبب جهاد المؤمنين من عباد الله الصالحين.



المعنى التاسع
الجهاد في سبيل الله يكون سببا في فقر الكافرين ومو تهم على الكفر

ومن صور النصر أيضاً أن يكون الجهاد سبباً في فقر الكافرين وموتهم على كفرهم وعدم هدايتهم،وهذا من أعظم أنواع النصر،فحربهم للدِّين ومجابهتهم للمجاهدين تصبح سبباً لضلالهم وإيغالهم في الكفر حتى الموت،وهذا ما دعا به موسى وهارون عليهما السلام على فرعون وقومه فقال موسى عليه السلام: (وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ [يونس:88]).
«رَبَّنا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوالًا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا» ..ينشأ عنها إضلال الناس عن سبيلك،إما بالإغراء الذي يحدثه مظهر النعمة في نفوس الآخرين. وإما بالقوة التي يمنحها المال لأصحابه فيجعلهم قادرين على إذلال الآخرين أو إغوائهم. ووجود النعمة في أيدي المفسدين لا شك يزعزع كثيرا من القلوب التي لا يبلغ من يقينها باللّه أن تدرك

أن هذه النعمة ابتلاء واختبار،وأنها كذلك ليست شيئا ذا قيمة إلى جانب فضل اللّه في الدنيا والآخرة. وموسى يتحدث هنا عن الواقع المشهود في عامة الناس. ويطلب لوقف هذا الإضلال،ولتجريد القوة الباغية المضلة من وسائل البغي والإغراء،أن يطمس اللّه على هذه الأموال بتدميرها والذهاب بها،بحيث لا ينتفع بها أصحابها. أما دعاؤه بأن يشد اللّه على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم،فهو دعاء من يئس من صلاح هذه القلوب،ومن أن يكون لها توبة أو إنابة. دعاء بأن يزيدها اللّه قسوة واستغلاقا حتى يأتيهم العذاب،وعندئذ لن يقبل منهم الإيمان لأن الإيمان عند حلول العذاب لا يقبل،ولا يدل على توبة حقيقية باختيار الإنسان.[25]

فدعاء موسى عليه السلام بهذه الأمور يدلّ على أن تحققها يعدُّ نصراً حقيقياً،وأيُّ هزيمة أعظم من أن يشدد الله على قلوب الكافرين حتى يلاقوا العذاب الأليم وحينها يفرح المؤمنون بذلك الموقف الذي يقال فيه لأئمة الكفر: (ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ [الدخان:49]) فبطرهم وأشرهم وطغيانهم

---

[25] - فى ظلال القرآن ـ موافقا للمطبوع - (3 / 1817)

وزعمهم الدفاع عن الحرية والحضارة وحرب الإرهاب كل تلك الأمور سوف تنتهي بانتهاء حياتهم التي لم يبق منها إلا أقل مما فات،وبعدها ينتقل إلى موقف يشفي الله به صدور المؤمنين عندما يقال لهم: (قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ (54) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (55) قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ (56) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (57) [الصافات:54 - 57]).

وإن تحقق فقر الكافرين في الدنيا فقد منح الله أكتافهم لعباده المؤمنين.

وقد كان جهاد النبي أيضاً سبباً في بغي اليهود وطغيانهم،فشدَّ الله على قلوبهم حتى ماتوا وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم،فماتوا على الكفر والموعد يوم الحساب.



المعنى العاشر
اتخاذ الشهداء

ومن صور النصر أن يتخذ الله من عباده شهداء،فكل عبد يعمل ويكدح لله تعالى إنما ذلك من أجل أن يدخل الجنة ،لذا فإن الله تعالى قال: (وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ [آل عمران:140]).
إن الشهداء لمختارون. يختارهم اللّه من بين المجاهدين،ويتخذهم لنفسه - سبحانه - فما هي رزية إذن ولا خسارة أن يستشهد في سبيل اللّه من يستشهد. إنما هو اختيار وانتقاء،وتكريم واختصاص .. إن هؤلاء هم الذين اختصهم اللّه ورزقهم
الشهادة،ليستخلصهم لنفسه - سبحانه - ويخصهم بقربه.
ثم هم شهداء يتخذهم اللّه،ويستشهدهم على هذا الحق الذي بعث به للناس.
يستشهدهم فيؤدون الشهادة.
يؤدونها أداء لا شبهة فيه،ولا مطعن عليه،ولا جدال حوله. يؤدونها بجهادهم حتى الموت في سبيل إحقاق هذا الحق،وتقريره في دنيا الناس. يطلب اللّه - سبحانه - منهم أداء

هذه الشهادة،على أن ما جاءهم من عنده الحق،وعلى أنهم آمنوا به،وتجردوا له،وأعزوه حتى أرخصوا كل شيء دونه وعلى أن حياة الناس لا تصلح ولا تستقيم إلا بهذا الحق وعلى أنهم هم استيقنوا هذا،فلم يألوا جهدا في كفاح الباطل وطرده من حياة الناس،وإقرار هذا الحق في عالمهم وتحقيق منهج اللّه في حكم الناس .. يستشهدهم اللّه على هذا كله فيشهدون. وتكون شهادتهم هي هذا الجهاد حتى الموت. وهي شهادة لا تقبل الجدال والمحال! وكل من ينطق بالشهادتين:شهادة أن لا إله إلا اللّه وأن محمدا رسول اللّه. لا يقال له إنه شهد،إلا أن يؤدي مدلول هذه الشهادة ومقتضاها. ومدلولها هو ألا يتخذ إلا اللّه إليها. ومن ثم لا يتلقى الشريعة إلا من اللّه. فأخص خصائص الألوهية التشريع للعباد وأخص خصائص العبودية التلقي من اللّه .. ومدلولها كذلك ألا يتلقى من اللّه إلا عن محمد بما أنه رسول اللّه. ولا يعتمد مصدرا آخر للتلقي إلا هذا المصدر ..

ومقتضى هذه الشهادة أن يجاهد إذن لتصبح الألوهية للّه وحده في الأرض،كما بلغها محمد - ﷺ - فيصبح المنهج الذي أراده اللّه

للناس،والذي بلغه عنه محمد - - هو المنهج السائد والغالب والمطاع،وهو النظام الذي يصرّف حياة الناس كلها بلا استثناء. فإذا اقتضى هذا الأمر أن يموت في سبيله،فهو إذن شهيد. أي شاهد طلب اللّه إليه أداء هذه الشهادة فأداها. واتخذه اللّه شهيدا .. ورزقه هذا المقام.
هذا فقه ذلك التعبير العجيب:«وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَداءَ ..» ..
وهو مدلول شهادة أن لا إله إلا اللّه وأن محمدا رسول اللّه،ومقتضاه .. لا ما انتهى إليه مدلول هذه الشهادة من الرخص والتفاهة والضياع![26]
فالشهادة اصطفاء من الله تعالى لعباده ومن يصطفيه الله لهذه المنزلة فقد فاز وانتصر،والشهادة هي غاية مطلوبة لذاتها لأنها اصطفاء من الله،ولأن النبي تمناها ثلاثاً بقوله كما في الصحيح عن أبي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ - - قَالَ « انْتَدَبَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِى سَبِيلِهِ لاَ يُخْرِجُهُ إِلاَّ إِيمَانٌ بِى وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِى أَنْ أُرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ،أَوْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ،وَلَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِى مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ،وَلَوَدِدْتُ أَنِّى

---
[26] - فى ظلال القرآن ـ موافقا للمطبوع - (1 / 481)

أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أُحْيَا،ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا،ثُمَّ أُقْتَلُ »[27]
وقال الله مؤكداً ذلك النصر (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ [آل عمران:169]) .
وقال (وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ [البقرة: 154])
ودليل على أن الشهادة نصر بذاتها ما جاء في الصحيحين عَنْ أَنَسٍ - رضى الله عنه - قَالَ بَعَثَ النَّبِىُّ - ﷺ - أَقْوَامًا مِنْ بَنِى سُلَيْمٍ إِلَى بَنِى عَامِرٍ فِى سَبْعِينَ،فَلَمَّا قَدِمُوا قَالَ لَهُمْ خَالِى أَتَقَدَّمُكُمْ،فَإِنْ أَمَّنُونِى حَتَّى أُبَلِّغَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَإِلاَّ كُنْتُمْ مِنِّى قَرِيبًا . فَتَقَدَّمَ،فَأَمَّنُوهُ،فَبَيْنَمَا يُحَدِّثُهُمْ عَنِ النَّبِىِّ - ﷺ - إِذْ أَوْمَئُوا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ،فَطَعَنَهُ فَأَنْفَذَهُ فَقَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ،فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ . ثُمَّ مَالُوا عَلَى بَقِيَّةِ أَصْحَابِهِ فَقَتَلُوهُمْ ،....." [28]
فكيف لمن قتل وعاين الموت أن يقسم بالفوز،إلا أنه قد وجد ريح الجنة،والأدلة على انتصار المجاهد بنيل الشهادة وحدها كثيرة جداً بسطها العلماء في أبواب مستقلة في

---

[27] - صحيح البخارى (36)

[28] - صحيح البخارى (2801) وصحيح مسلم (5026)

فضائل الشهادة في سبيل الله،فمن رزق الشهادة فقد انتصر النصر المحقق.

المعنى الحادي عشر
نصر العزة والتمكين في الأرض

ومن صور النصر أيضاً النصر الميداني نصر المعركة:نصر العزة والتمكين في الأرض وجعل الدولة للإسلام والجولة للإسلام،كما نصر الله عز وجل داود وسليمان عليهما السلام كما قال سبحانه: {وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ} [البقرة: 251]،وقال عز وجل:{ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ ءاتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً } [الأنبياء:79]،فجمع الله عز وجل لهذين النبيين الكريمين بين النبوة والحكم والملك العظيم.
وكذلك موسى عليه السلام نصره الله على فرعونَ وقومه وأظهر الدين في حياته،كما قال سبحانه: {وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ} (137) سورة الأعراف.
أما نبينا محمداً فقد نصره الله نصراً مؤزراً،فما فارق النبي الدنيا حتى أقرّ الله عز وجل عينه بالنصر المبين،والعز

والتمكين،بل جعل الله عز وجل النصر ودخول الناس في دين الله أفواجاً علامة قربِ أجل النبي فقال تعالى:{ إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ اللَّهِ أَفْواجاً فَسَبّحْ بِحَمْدِ رَبّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوبَا }[سورة النصر]،فما فارق النبي الدنيا حتى حكم الإسلام جزيرة العرب،ثم فتح تلامذته من بعده البلاد شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً،حتى استنارَ أكثرُ الأرض بدعوة الإسلام،وسالت دماء الصحابة في الأقطار والأمصار،يرفعون راية الإسلام،وينشرون دين الله عز وجل،حتى وقف عقبة بن عامر على شاطئ المحيط الأطلنطي وقال: "والله يا بحر لو أعلم أن وراءك أرضاً تفتح في سبيل الله لخضتك بفرسي هذا".
وما كان يعلم رضي الله عنه أن وراء ذلكم البحر الأمريكتان،ولو كتب الله وخاض البحر ودخل المسلمون تلك البلاد لكان التاريخ شيئاً آخر،فشاء الله تعالى أن تقف خيول عقبة بن عامر على شاطئ الأطلنطي لحكمة يعلمها سبحانه،لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون. وهذا الخليفة المسلم هارون الرشيد نظر إلى السحابة في السماء وقال

لها: "أمطري حيث تشائين فسوف يأتيني خراجك".[29]
لقد انتصر الإسلام لما وجد الرجال الذين يقومون به ويضحون من أجله والله عز وجل يقول: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ }[الصافات:171-173].
والوعد واقع وكلمة اللّه قائمة. ولقد استقرت جذور العقيدة في الأرض وقام بناء الإيمان،على الرغم من جميع العوائق،وعلى الرغم من تكذيب المكذبين،وعلى الرغم من التنكيل بالدعاة والمتبعين. ولقد ذهبت عقائد المشركين والكفار. وذهبت سطوتهم ودولتهم وبقيت العقائد التي جاء بها الرسل. تسيطر على قلوب الناس وعقولهم،وتكيف تصوراتهم وأفهامهم. وما تزال على الرغم من كل شيء هي أظهر وأبقى ما يسيطر على البشر في أنحاء الأرض. وكل المحاولات التي بذلت لمحو العقائد الإلهية التي جاء بها الرسل،وتغليب أية فكرة أو فلسفة أخرى قد باءت بالفشل. باءت بالفشل حتى في الأرض التي نبعث منها.

---

[29] - موسوعة خطب المنبر - الإصدار الثاني - (1 / 272) - خطبة عيد الفطر - وكان حقا علينا نصر المؤمنين -

وحقت كلمة اللّه لعباده المرسلين. إنهم لهم المنصورون وإن جنده لهم الغالبون.
هذه بصفة عامة. وهي ظاهرة ملحوظة. في جميع بقاع الأرض. في جميع العصور.
وهي كذلك متحققة في كل دعوة للّه،يخلص فيها الجند،ويتجرد لها الدعاة. إنها غالبة منصورة مهما وضعت في سبيلها العوائق،وقامت في طريقها العراقيل. ومهما رصد لها الباطل من قوى الحديد والنار،وقوى الدعاية والافتراء،وقوى الحرب والمقاومة،وإن هي إلا معارك تختلف نتائجها. ثم تنتهي إلى الوعد الذي وعده اللّه لرسله. والذي لا يخلف ولو قامت قوى الأرض كلها في طريقه. الوعد بالنصر والغلبة والتمكين.
هذا الوعد سنة من سنن اللّه الكونية. سنة ماضية كما تمضي هذه الكواكب والنجوم في دوراتها المنتظمة وكما يتعاقب الليل والنهار في الأرض على مدار الزمان وكما تنبثق الحياة في الأرض الميتة ينزل عليها الماء ..
ولكنها مرهونة بتقدير اللّه،يحققها حين يشاء. ولقد تبطئ آثارها الظاهرة بالقياس إلى أعمار البشر المحدودة.

ولكنها لا تخلف أبدا ولا تتخلف وقد تتحقق في صورة لا يدركها البشر لأنهم يطلبون المألوف من صور النصر والغلبة،ولا يدركون تحقق السنة في صورة جديدة إلا بعد حين! ولقد يريد البشر صورة معينة من صور النصر والغلبة لجند اللّه وأتباع رسله. ويريد اللّه صورة أخرى أكمل وأبقى. فيكون ما يريده اللّه. ولو تكلف الجند من المشقة وطول الأمد أكثر مما كانوا ينتظرون .. ولقد أراد المسلمون قبيل غزوة بدر أن تكون لهم عير قريش وأراد اللّه أن تفوتهم القافلة الرابحة الهينة وأن يقابلوا النفير وأن يقاتلوا الطائفة ذات الشوكة. وكان ما أراده اللّه هو الخير لهم وللإسلام. وكان هو النصر الذي أراده اللّه لرسوله وجنده ودعوته على مدى الأيام.

ولقد يهزم جنود اللّه في معركة من المعارك،وتدور عليهم الدائرة،ويقسو عليهم الابتلاء لأن اللّه يعدهم للنصر في معركة أكبر. ولأن اللّه يهيئ الظروف من حولهم ليؤتي النصر يومئذ ثماره في مجال أوسع،وفي خط أطول،وفي أثر أدوم.[30]

---

[30] - فى ظلال القرآن ـ موافقا للمطبوع - (5 / 3001)

وهذا هو الذي يعرف معناه كل الناس وكثير منهم يحصر النصر به فقط وهذا خلل في المفهوم،فما النصر الميداني إلا أحد أنواع النصر وقد فرح به رسول الله في آخر حياته وأراه الله ذلك النصر قبل مماته ثم قال له ممتناً عليه (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً) (سورة النصر).

هذه بعض صور النصر وهي كثيرة لا مجال لحصرها ولكن مثلنا بهذه الصور التي تدخل كلها تحت وعد الله سبحانه وتعالى عندما قال:(إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ [غافر:51]) .

إننا في حاجة إلى أن نراجع ما استقر في تقديرنا من الصور. ومن القيم. قبل أن نسأل:أين وعد اللّه لرسله وللمؤمنين بالنصر في الحياة الدنيا! على أن هناك حالات كثيرة يتم فيها النصر في صورته الظاهرة القريبة. ذلك حين تتصل هذه الصورة الظاهرة القريبة بصورة باقية ثابتة. لقد انتصر محمد - - في حياته. لأن هذا النصر يرتبط بمعنى إقامة هذه العقيدة

بحقيقتها الكاملة في الأرض. فهذه العقيدة لا يتم تمامها إلا بأن تهيمن على حياة الجماعة البشرية وتصرفها جميعا. من القلب المفرد إلى الدولة الحاكمة. فشاء اللّه أن ينتصر صاحب هذه العقيدة في حياته،ليحقق هذه العقيدة في صورتها الكاملة،ويترك هذه الحقيقة مقررة في واقعة تاريخية محددة مشهودة.

ومن ثم اتصلت صورة النصر القريبة بصورة أخرى بعيدة،واتحدت الصورة الظاهرة مع الصورة الحقيقية. وفق تقدير اللّه وترتيبه.

وهنالك اعتبار آخر تحسن مراعاته كذلك. إن وعد اللّه قائم لرسله وللذين آمنوا. ولا بد أن توجد حقيقة الإيمان في القلوب التي ينطبق هذا الوعد عليها. وحقيقة الإيمان كثيرا ما يتجوز الناس فيها. وهي لا توجد إلا حين يخلو القلب من الشرك في كل صوره وأشكاله.

وإن هنالك لأشكالا من الشرك خفية لا يخلص منها القلب إلا حين يتجه للّه وحده،ويتوكل عليه وحده،ويطمئن إلى قضاء اللّه فيه،وقدره عليه،ويحس أن اللّه وحده هو الذي يصرفه فلا خيرة له إلا ما اختار اللّه. ويتلقى هذا بالطمأنينة والثقة والرضى والقبول. وحين يصل إلى هذه الدرجة فلن

يقدم بين يدي اللّه،ولن يقترح عليه صورة معينة من صور النصر أو صور الخير.فسيكل هذا كله للّه. ويلتزم. ويتلقى كل ما يصيبه على أنه الخير .. وذلك معنى من معاني النصر .. النصر على الذات والشهوات. وهو النصر الداخلي الذي لا يتم نصر خارجي بدونه بحال من الأحوال.[31]

وقوله تعالى:(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ [الروم:47])

وسبحان الذي أوجب على نفسه نصر المؤمنين وجعله لهم حقا،فضلا وكرما. وأكده لهم في هذه الصيغة الجازمة التي لا تحتمل شكا ولا ريبا. وكيف والقائل هو اللّه القوي العزيز الجبار المتكبر،القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير. يقولها سبحانه معبرة عن إرادته التي لا ترد،وسنته التي لا تتخلف،وناموسه الذي يحكم الوجود.

وقد يبطئ هذا النصر أحيانا - في تقدير البشر - لأنهم يحسبون الأمور بغير حساب اللّه،ويقدرون الأحوال لا كما يقدرها اللّه. واللّه هو الحكيم الخبير. يصدق وعده في

---

[31] - فى ظلال القرآن ـ موافقا للمطبوع - (5 / 3086)

الوقت الذي يريده ويعلمه،وفق مشيئته وسنته. وقد تتكشف حكمة توقيته وتقديره للبشر وقد لا تتكشف. ولكن إرادته هي الخير وتوقيته هو الصحيح.
ووعده القاطع واقع عن يقين،يرتقبه الصابرون واثقين مطمئنين.[32]
فمن ضعف إدراكه عن معاني النصر فإنه يقول كيف يحق الله على نفسه نصر الرسل والمؤمنين،ومن الرسل من قتل ومنهم من لم يملك سلطة ولم يسلم معه أحد،ومن فهم معاني النصر فإن الإشكال عنه يزول.
علماً أن نصر التمكين والغلبة والسلطان هو الذي سيؤول إليه الحال في نهاية الأمر للأمة الإسلامية،فإن لم يحصل هذا في زماننا فإنه قطعاً سيحصل دون أدنى شك فيمن بعدنا،فبشائر الرسول ووعوده بالتمكين في الأرض لا تنصرف إلا إلى معنى النصر الميداني والغلبة العسكرية والسلطان في الأرض،والنصوص الدالة على ذلك كثيرة،وقد مرت سابقاً ..
ومنها عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِىَّ - - قَالَ « سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةٍ جَانِبٌ مِنْهَا فِى الْبَرِّ وَجَانِبٌ مِنْهَا فِى الْبَحْرِ ». قَالُوا نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

[32] - فى ظلال القرآن ـ موافقا للمطبوع - (5 / 2774)

قَالَ « لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزُوَهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِى إِسْحَاقَ فَإِذَا جَاءُوهَا نَزَلُوا فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلاَحٍ وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ قَالُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ. فَيَسْقُطُ أَحَدُ جَانِبَيْهَا ». قَالَ ثَوْرٌ لاَ أَعْلَمُهُ إِلاَّ قَالَ « الَّذِى فِى الْبَحْرِ ثُمَّ يَقُولُوا الثَّانِيَةَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ. فَيَسْقُطُ جَانِبُهَا الآخَرُ ثُمَّ يَقُولُوا الثَّالِثَةَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ. فَيُفَرَّجُ لَهُمْ فَيَدْخُلُوهَا فَيَغْنَمُوا فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْمَغَانِمَ إِذْ جَاءَهُمُ الصَّرِيخُ فَقَالَ إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَرَجَ. فَيَتْرُكُونَ كُلَّ شَىْءٍ وَيَرْجِعُونَ »[33].

وقد تواترت أخبار المهدي الذي بشر النبي بخروجه في آخر الزمان،فعَنْ عَبْدِ اللهِ،قَالَ:قَالَ النَّبِيُّ :يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي،وَخُلُقُهُ خُلُقِي،فَيَمْلَؤُهَا قِسْطًا وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا.[34]

والنصوص المبشرة بالنصر العسكري للأمة والتمكين في الأرض والغلبة والسلطان كثيرة،ولا يسوغ أبداً أن يتكل العبد على تلك النصوص ويترك العمل بحجة أن النصر آت لا محالة،ولكن يجب عليه إذا فهم معاني النصر أن يكون سباقاً لها،فإن الأمة إذا

---

[33] -صحيح مسلم (7517)

[34] - صحيح ابن حبان - (15 / 237) (6825) صحيح

انتصرت وليس له مجهود في ذلك النصر فإنه من الخاسرين،ولكن لا بد أن يحاول جاهداً أن يحقق لنفسه شيئاً من معاني النصر الأخرى حتى يأتي وعد الله بالنصر الميداني (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * [الروم:4،5]).

فالأمر له من قبل ومن بعد. وهو ينصر من يشاء. لا مقيد لمشيئته سبحانه. والمشيئة التي تريد النتيجة هي ذاتها التي تيسر الأسباب. فلا تعارض بين تعليق النصر بالمشيئة ووجود الأسباب. والنواميس التي تصرف هذا الوجود كله صادرة عن المشيئة الطليقة. وقد أرادت هذه المشيئة أن تكون هناك سنن لا تتخلف وأن تكون هناك نظم لها استقرار وثبات. والنصر والهزيمة أحوال تنشأ عن مؤثرات،وفق تلك السنن التي اقتضتها تلك المشيئة الطليقة.

والعقيدة الإسلامية واضحة ومنطقية في هذا المجال. فهي ترد الأمر كله إلى اللّه. ولكنها لا تعفي البشر من الأخذ بالأسباب الطبيعية التي من شأنها أن تظهر النتائج إلى عالم الشهادة والواقع. أما أن تتحقق تلك النتائج فعلا أو لا تتحقق فليس داخلا في

التكليف،لأن مرد ذلك في النهاية إلى تدبير اللّه. ولقد ترك الأعرابي ناقته طليقة على باب مسجد رسول اللّه - ودخل يصلي قائلا:«تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ» فقال له رسول اللّه -:«اعقلها وتوكل» . فالتوكل في العقيدة الإسلامية مقيد بالأخذ بالأسباب،ورد الأمر بعد ذلك إلى اللّه.
«يَنْصُرُ مَنْ يَشاءُ،وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ» ..فهذا النصر محفوف بظلال القدرة القادرة التي تنشئه وتظهره في عالم الواقع وبظلال الرحمة التي تحقق به مصالح الناس وتجعل منه رحمة للمنصورين والمغلوبين سواء.
«وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ» وصلاح الأرض رحمة للمنتصرين والمهزومين في نهاية المطاف.
«وَعْدَ اللَّهِ. لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ. وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ. يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غافِلُونَ» ..
ذلك النصر وعد من اللّه،فلا بد من تحققه في واقع الحياة:«لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ» فوعده صادر عن إرادته الطليقة،وعن حكمته العميقة. وهو قادر على تحقيقه،لا راد لمشيئته،ولا معقب لحكمه،ولا يكون في الكون إلا ما يشاء.

وتحقيق هذا الوعد طرف من الناموس الأكبر الذي لا يتغير «وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ» ولو بدا في الظاهر أنهم علماء،وأنهم يعرفون الكثير. ذلك أن علمهم سطحي،يتعلق بظواهر الحياة،ولا يتعمق سننها الثابتة،وقوانينها الأصيلة ولا يدرك نواميسها الكبرى،وارتباطاتها الوثيقة:«يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياةِ الدُّنْيا» .. ثم لا يتجاوزون هذا الظاهر ولا يرون ببصيرتهم ما وراءه.

وظاهر الحياة الدنيا محدود صغير،مهما بدا للناس واسعا شاملا،يستغرق جهودهم بعضه،ولا يستقصونه يبه.

والذي لا يتصل قلبه بضمير ذلك الوجود ولا يتصل حسه بالنواميس والسنن التي تصرفه،يظل ينظر وكأنه لا يرى ويبصر الشكل الظاهر والحركة الدائرة،ولكنه لا يدرك حكمته،ولا يعيش بها ومعها.

وأكثر الناس كذلك،لأن الإيمان الحق هو وحده الذي يصل ظاهر الحياة بأسرار الوجود وهو الذي يمنح العلم روحه المدرك لأسرار الوجود. والمؤمنون هذا الإيمان قلة في مجموع الناس. ومن ثم تظل الأكثرية محجوبة عن المعرفة الحقيقية.

«وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غافِلُونَ» .. فالآخرة حلقة في سلسلة النشأة،وصفحة من صفحات الوجود الكثيرة.
والذين لا يدركون حكمة النشأة،ولا يدركون ناموس الوجود يغفلون عن الآخرة،ولا يقدرونها قدرها،ولا يحسبون حسابها،ولا يعرفون أنها نقطة في خط سير الوجود،لا تتخلف مطلقا ولا تحيد.
والغفلة عن الآخرة تجعل كل مقاييس الغافلين تختل وتؤرجح في أكفهم ميزان القيم فلا يملكون تصور الحياة وأحداثها وقيمها تصورا صحيحا ويظل علمهم بها ظاهرا سطحيا ناقصا،لأن حساب الآخرة في ضمير الإنسان يغير نظرته لكل ما يقع في هذه الأرض. فحياته على الأرض إن هي إلا مرحلة قصيرة من رحلته الطويلة في الكون. ونصيبه في هذه الأرض إن هو إلا قدر زهيد من نصيبه الضخم في الوجود. والأحداث والأحوال التي تتم في هذه الأرض إن هي إلا فصل صغير من الرواية الكبيرة. ولا ينبغي أن يبني الإنسان حكمه على مرحلة قصيرة من الرحلة الطويلة،وقدر زهيد من النصيب الضخم،وفصل صغير من الرواية الكبيرة! ومن ثم لا يلتقي إنسان

يؤمن بالآخرة ويحسب حسابها،مع آخر
يعيش لهذه الدنيا وحدها ولا ينتظر ما
وراءها. لا يلتقي هذا وذاك في تقدير أمر
واحد من أمور هذه الحياة،ولا قيمة واحدة
من قيمها الكثيرة ولا يتفقان في حكم واحد
على حادث أو حالة أو شأن من الشؤون.
فلكل منهما ميزان،ولكل منهما زاوية
للنظر،ولكل منهما ضوء يرى عليه الأشياء
والأحداث والقيم والأحوال .. هذا يرى ظاهرا
من الحياة الدنيا وذلك يدرك ما وراء الظاهر
من روابط وسنن،ونواميس شاملة للظاهر
والباطن،والغيب والشهادة،والدنيا
والآخرة،والموت والحياة،والماضي والحاضر
والمستقبل،وعالم الناس والعالم الأكبر الذي
يشمل الأحياء وغير الأحياء .. وهذا هو الأفق
البعيد الواسع الشامل الذي ينقل الإسلام
البشرية إليه ويرفعها فيه إلى المكان الكريم
اللائق بالإنسان. الخليفة في الأرض.
المستخلف بحكم ما في كيانه من روح اللّه.
ولارتباط تحقق وعد اللّه بالنصر بالحق
الأكبر الذي يقوم عليه هذا الوجود،وارتباط
أمر الآخرة كذلك بهذا الحق استطرد يجول
بهم جولة أخرى في ضمير هذا الكون. في
السماوات والأرض وما بينهما ويردهم إلى

أنفسهم ينظرون في أعماقها
ويتدبرون،علهم يدركون ذلك الحق
الكبير،الذي يغفلون عنه حين يغفلون عن
الآخرة ويغفلون عن الدعوة التي تقودهم
إلى رؤية ذلك الحق وتدبره:«أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا
فِي أَنْفُسِهِمْ ما خَلَقَ اللَّهُ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ
وَما بَيْنَهُما إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى. وَإِنَّ
كَثِيراً مِنَ النَّاسِ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ لَكافِرُونَ».
فطبيعة تكوينهم هم أنفسهم،وطبيعة هذا
الكون كله من حولهم توحي بأن هذا الوجود
قائم على الحق،ثابت على الناموس،لا
يضطرب،ولا تتفرق به السبل،ولا تتخلف
دورته،ولا يصطدم بعضه ببعض،ولا يسير
وفق المصادفة العمياء،ولا وفق الهوى
المتقلب،إنما يمضي في نظامه الدقيق
المحكم المقدر تقديرا.
وأن من مقتضيات هذا الحق الذي يقوم
عليه الوجود أن تكون هناك آخرة،يتم فيها
الجزاء على العمل،ويلقى الخير والشر
عاقبتهما كاملة. إنما كل شيء إلى أجله
المرسوم. وفق الحكمة المدبرة وكل أمر
يجيء في موعده لا يستقدم لحظة ولا
يستأخر. وإذا لم يعلم البشر متى تكون
الساعة،فإن هذا ليس معناه أنها لا تكون!

ولكن تأجيلها يغري الذين لا يعلمون إلا ظاهرا من الحياة الدنيا ويخدعهم:«وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ لَكافِرُونَ» [35]..

[35] - فى ظلال القرآن ـ موافقا للمطبوع - (5 / 2758)

المعنى الثاني عشر
حماية الله عباده المؤمنين من كيد الكافرين

وهو أن يحمي الله عز وجل عباده المؤمنين من كيد الكافرين كما قال تعالى {الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللّهِ قَالُواْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُواْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً} (141) سورة النساء
إنه وعد من اللّه قاطع. وحكم من اللّه جامع:أنه متى استقرت حقيقة الإيمان في نفوس المؤمنين وتمثلت في واقع حياتهم منهجا للحياة،ونظاما للحكم،وتجردا للّه في كل خاطرة وحركة،وعبادة للّه في الصغيرة والكبيرة .. فلن يجعل اللّه للكافرين على المؤمنين سبيلا ..
وهذه حقيقة لا يحفظ التاريخ الإسلامي كله واقعة واحدة تخالفها! وأنا أقرر في ثقة بوعد اللّه لا يخالجها شك،أن الهزيمة لا تلحق بالمؤمنين،ولم تلحق بهم في تاريخهم كله،إلا وهناك ثغرة في حقيقة الإيمان. إما

في الشعور وإما في العمل - ومن الإيمان أخذ العدة وإعداد القوة في كل حين بنية الجهاد في سبيل اللّه وتحت هذه الراية وحدها مجردة من كل إضافة ومن كل شائبة - وبقدر هذه الثغرة تكون الهزيمة الوقتية ثم يعود النصر للمؤمنين - حين يوجدون! ففي «أحد» مثلا كانت الثغرة في ترك طاعة الرسول - ﷺ - وفي الطمع في الغنيمة. وفي «حنين» كانت الثغرة في الاعتزاز بالكثرة والإعجاب بها ونسيان السند الأصيل! ولو ذهبنا نتتبع كل مرة تخلف فيها النصر عن المسلمين في تاريخهم لوجدنا شيئا من هذا .. نعرفه أو لا نعرفه .. أما وعد اللّه فهو حق في كل حين.

نعم. إن المحنة قد تكون للابتلاء .. ولكن الابتلاء إنما يجيء لحكمة،هي استكمال حقيقة الإيمان،ومقتضياته من الأعمال - كما وقع في أحد وقصه اللّه على المسلمين - فمتى اكتملت تلك الحقيقة بالابتلاء والنجاح فيه،جاء النصر وتحقق وعد اللّه عن يقين.

على أنني إنما أعني بالهزيمة معنى أشمل من نتيجة معركة من المعارك .. إنما أعني بالهزيمة هزيمة الروح،وكلال العزيمة.

فالهزيمة في معركة لا تكون هزيمة إلا إذا

تركت آثارها في النفوس همودا وكلالا وقنوطا. فأما إذا بعثت الهمة،وأذكت الشعلة،وبصرت بالمزالق،وكشفت عن طبيعة العقيدة وطبيعة المعركة وطبيعة الطريق .. فهي المقدمة الأكيدة للنصر الأكيد. ولو طال الطريق! كذلك حين يقرر النص القرآني:أن اللّه لن يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا .. فإنما يشير إلى أن الروح المؤمنة هي التي تنتصر والفكرة المؤمنة هي التي تسود. وإنما يدعو الجماعة المسلمة إلى استكمال حقيقة الإيمان في قلوبها تصورا وشعورا وفي حياتها واقعا وعملا. وألا يكون اعتمادها كله على عنوانها. فالنصر ليس للعنوانات. إنما هو للحقيقة التي وراءها ..
وليس بيننا وبين النصر في أي زمان وفي أي مكان،إلا أن نستكمل حقيقة الإيمان. ونستكمل مقتضيات هذه الحقيقة في حياتنا وواقعنا كذلك .. ومن حقيقة الإيمان أن نأخذ العدة ونستكمل القوة. ومن حقيقة الإيمان ألا نركن إلى الأعداء وألا نطلب العزة إلا من اللّه.
ووعد اللّه هذا الأكيد،يتفق تماما مع حقيقة الإيمان وحقيقة الكفر في هذا الكون ..

إن الإيمان صلة بالقوة الكبرى،التي لا تضعف ولا تفنى .. وإن الكفر انقطاع عن تلك القوة وانعزال عنها ..
ولن تملك قوة محدودة مقطوعة منعزلة فانية،أن تغلب قوة موصولة بمصدر القوة في هذا الكون جميعا.
غير أنه يجب أن نفرق دائما بين حقيقة الإيمان ومظهر الإيمان .. إن حقيقة الإيمان قوة حقيقية ثابتة ثبوت النواميس الكونية. ذات أثر في النفس وفيما يصدر عنها من الحركة والعمل. وهي حقيقة ضخمة هائلة كفيلة حين تواجه حقيقة الكفر المنعزلة المبتوتة المحدودة أن تقهرها .. ولكن حين يتحول الإيمان إلى مظهر فإن «حقيقة» الكفر تغلبه،إذا هي صدقت مع طبيعتها وعملت في مجالها .. لأن حقيقة أي شيء أقوى من «مظهر» أي شيء.
ولو كانت هي حقيقة الكفر وكان هو مظهر الإيمان! إن قاعدة المعركة لقهر الباطل هي إنشاء الحق. وحين يوجد الحق بكل حقيقته وبكل قوته يتقرر مصير المعركة بينه وبين الباطل. مهما يكن هذا الباطل من الضخامة الظاهرية الخادعة للعيون .. «بَلْ نَقْذِفُ

بِالْحَقِّ عَلَى الْباطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذا هُوَ زاهِقٌ» ..[36]
ويقول الشعراوي رحمه الله:" وحين يرد الله أمر الكافرين والمؤمنين لا يرده دائماً إلى أمد قد لا يطول أجل السامع وعمره ليراه في الدنيا،فيأتي له بالمسألة المقطوع بها؛ لذلك لا يقول للمؤمن: إنك سوف تنتصر. فالمؤمن قد يموت قبل أن يرى الانتصار. ولذلك يأتي بالأمر المقطوع وهو يوم القيامة حين تكون الجنة مصيراً مؤكداً لكل مؤمن؛ لأن الحياة أتفه من أن تكون ثمناً للإيمان.
ويعلمنا الرسول ألا نطلب الثمن في الدنيا؛ لأن الغايات تأتي لها الأغيار في هذه الدنيا،فنعيم الحياة إما أن يفوت الإنسان وإما أن يفوته الإنسان. وثمن الإيمان باقٍ ببقاء من آمنت به.
إن القاعدة الإيمانية تقول: من يعمل صالحاً يدخل الجنة،والحق يقول عن هؤلاء الصالحين:{ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }[آل عمران: 107]
أي أن الجنة باقية بإبقاء الله لها،وهو قادر على إفنائها،أما رحمة الله فلا فناء لها لأنها

[36] - فى ظلال القرآن ـ موافقا للمطبوع - (2 / 782)

صفة من صفاته وهو الدائم أبداً. وحين يقول الحق سبحانه وتعالى: { فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } أي لن يوجد نقض لهذا الحكم؛ لأنه لا إله إلا هو وتكون المسألة منتهية. وقد حكم الحق سبحانه وتعالى على قوم من أقارب محمد ﷺ،لقد حكم الله على عم الرسول،فقال فيه:{ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَآ أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ } [المسد: 1-5]

قول الحق سبحانه: { سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ } يدل على أن أبا لهب سيموت على الكفر ولن يهديه الله للإيمان،مع أن كثيراً من الذين وقفوا من رسول الله مواقف العداء آمنوا برسول الله ﷺ،ويشهد معسكر الكفر فقدان عددٍ من صناديده،ذهبوا إلى معسكر الإيمان،فها هوذا عمر بن الخطاب،وخالد بن الوليد،وعكرمة بن أبي جهل وغيرهم كل هؤلاء آمنوا. فما الذي كان يدري محمداً ﷺ أن أبا لهب لن يكون من هؤلاء؟ ولماذا لم يقل أبو لهب: قال ابن أخي: إنني سأصلى ناراً ذات لهب،وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله

وقلت كلمة الإيمان. لكنه لم يقل ذلك وعلم الله الذي حكم عليه أنه لن يقول كلمة الإيمان.
ألم يكن باستطاعة أبي لهب وزوجه أن يقولا في جمع: نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله،ويتم انتهاء المسألة؟ ولكن الله الذي لا معقب لحكمه قد قضى
بكفرهم،وبعد أن ينزل الحق هذا القول الفصل في أبي لهب وزوجه يأتي قول الحق في ترتيبه المصحفي ليقول ما يوضح: إياكم أن تفهموا أن هذه القضية تنقض،فسيصلى أبو لهب ناراً ذات لهب وامرأته حمالة الحطب،وقال الحق بعدها مباشرة:{ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ }[الإخلاص: 1-2]
فلا أحد سيغير حكم الله..
إذن فقوله الحق: { فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } أي لا معقب لحكم الله،فلا إله غيره يعقب عليه. { وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً } وهذه نتيجة لحكم الله،فلا يمكن أن يحكم الله للكافرين على المؤمنين. ولن يكون للكافرين حجة أو قوة أو طريق على المؤمنين. وهل هذه القضية تتحقق في الدنيا أو في الآخرة؟ ونعلم أن الحق يحكم

في الآخرة التي تعطلت فيها الأسباب،ولكنه جعل الأسباب في الدنيا،فمن أخذ بالأسباب فنتائج الأسباب تعطيه؛ لأن مناط الربوبية يعطي المؤمن والكافر،فإن أخذ الكافرون بالأسباب ولم يأخذ المؤمنون بها،فالله يجعل لهم على المؤمنين سبيلاً،وقد ينهزم المؤمنون أمام الكافرين.
والحكمة العربية تعلمنا: إياك أن تعتبر أنّ الخطأ ليس من جند الصواب. لأن الإنسان عندما يخطئ يُصَحَّحُ له الخطأ،فعندما يعلم المدرس تلميذه أن الفاعل مرفوع،وأخطأ التلميذ مرة ونصب الفاعل؛ فهذا يعني أنه أخذ القاعدة أولاً ثم سها عنها،والمدرس يصحح له الخطأ،فتلتصق القاعدة في رأس التلميذ بأن الفاعل مرفوع. وهكذا يكون الخطأ من جنود الصواب. والباطل أيضاً من جنود الحق.
فعندما يستشرى الباطل في الناس يبرز بينهم هاتف الحق. وهكذا نرى الباطل نفسه من جند الحق،فالباطل هو الذي يظهر اللذعة من استشراء الفساد،ويجعل البشر تصرخ،وكذلك الألم الذي يصيب الإنسان هو من جنود الشفاء؛ لأن الألم يقول للإنسان: يا

هذا هناك شيء غير طبيعي في هذا المكان. ولولا الألم لما ذهب الإنسان إلى الطبيب. علينا - إذن - أن نعرف ذلك كقاعدة: الخطأ من حنود الصواب،والباطل من جنود الحق،والألم من جنود الشفاء،وكل خطأ يقود إلى صواب،ولكن بلذعة،وذلك حتى لا ينساه الإنسان. وتاريخ اللغة العربية يحكي عن العلامة سيبويه،وهو من نذكره عندما يلحن أحد بخطأ في اللغة؛ فنقول: " أغضب المخطئ سيبويه "؛ لأن سيبويه هو الذي وضع النحو والقواعد حتى إننا إذا أطلقنا كلمة الكتاب في عرف اللغة فالمعنى ينصرف إلى كتاب سيبويه؛ فهو مؤلف الكتاب.

وسيبوبه لم يكن أصلاً عالم نحو،بل كان عالم قراءات للقرآن،حدث له أن كان جالساً وعيبت عليه لحنة في مجلس،أي أنه أخطأ في النحو وعاب عليه من حوله ذلك،فغضب من نفسه وحزن،وقال: والله لأجيدن العربية حتى لا ألحن فيها. وأصبح مؤلفاً في النحو.

ومثال آخر: الإمام الشاطبي - رضي الله عنه - لم يكن عالم قراءات بل كان عالماً في النحو،وبعد ذلك جاءت له مشكلة في

القراءات فلم يتعرف عليها،فأقسم أن يجلس للقراءات ويدرسها جيداً. وصار من بعد ذلك شيخاً للقراء. فلحنة - أي غلطة - هي التي صنعت من سيبويه عالماً في النحو،ومشكلة وعدم اهتداء في القراءات جعل من الإمام الشاطبي شيخاً للقراء؛ على الرغم من أن سيبويه كان عالم قراءات،والشاطبي كان رجل نحو.
ولذلك أكررها حتى نفهمها جيداً: الخطأ من جنود الصواب،والباطل من جنود الحق،والألم من جنود الشفاء والعافية.
وقد نجد الكافرين قد انتصروا في ظاهر الأمر على المؤمنين في بعض المواقع مثل أُحد،وكان ذلك للتربية؛ ففي " أحد " خالف بعض المقاتلين من المؤمنين رسول الله وكانت الهزيمة مقدمة للتصويب،وكذلك كانت موقعة حنين حينما أعجبتهم الكثرة:
{ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ }[التوبة: 25]
والشاعر العربي الذي تعرض لهذه المسألة قال:إن الهزيمة لا تكون هزيمة إلا إذا لم تقتلع أسبابهالكن إذا جهدت لتطرد شائباً فالحمق كل الحمق فيمن عابهافعندما يقتلع

الإنسان أسباب الهزيمة تصبح نصراً،وقد حدث ذلك في أحد،هم خالفوا في البداية فغلبهم الأعداء،ثم كانت درساً مستفاداً أفسح الطريق للنصر.

فإن رأيت أيها المسلم للكافرين سبيلاً على المؤمنين فلتعلم أن الإيمان قد تخلخل في نفوس المسلمين فلا نتيجة دون أسباب،وإن أخذ المؤمنون بالأسباب أعطاهم النتائج. فهو القائل:{ وَأَعِدُّواْ لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ }[الأنفال: 60]

فإن لم يعدّ المؤمنون ما استطاعوا،أو غرّتهم الكثرة فالنتيجة هي الهزيمة عن استحقاق،وعلى كل مؤمن أن يضع في يقينه هذا القول الرباني:{ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ سُنَّتَ الأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً }[فاطر: 43]

إن إعلان الإيمان بالله ليس هو نهاية أي شيء بل هو البداية،والمؤمن بالله يأخذ جزاءه على قدر عمله. ويغار الله على عبده المؤمن عندما يخطئ،لذلك يؤدبه ويربيه - ولله المثل الأعلى - نجد أن الإنسان منا قد لا يصبر على مراجعة الدروس مع أولاده فيأتي بمدرس ليفعل ذلك؛ لأن حب الأب لأولاده يدفع الأب للانفعال إذا ما أخطأ

الولد،وقد يضربه. أما المدرس الخارجي فلا ينفعل؛ بل يأخذ الأمور بحجمها العادي. إذن فكلما أحب الإنسان فهو يتدخل بمقياس الود ويقسو أحياناً على من يرحم.
والشاعر العربي يقول:فقسى ليزدجروا ومن يكُ حازماً   فليقس أحيانا على من يرحمُومثال آخر - ولله المثل الأعلى - الإنسان إذا ما دخل منزله ووجد في صحن المنزل أطفالاً يلعبون الميسر منهم ابنه وابن الجار،وطفل آخر لا يعرفه،فيتجه فوراً إلى ابنه ليصفعه،ويأمره بالعودة فوراً إلى الشقة،أما الأولاد الآخرون فلن يأخذ ابن الجار إلا كلمة تأنيب،أما الطفل الذي لا يعرفه فلن يتكلم معه.
وهكذا نجد العقاب على قدر المحبة والود،والتأديب على قدر المنزلة في النفس. ومن لا نهتم بأمره لا نعطي لسلوكه السيئ بالاً. وساعة نرى لأن للكافرين سبيلاً على المؤمنين فلنعلم أن قضية من قضايا الإيمان قد اختلت في نفوسهم،ولا يريد الله أن يظلوا هكذا بل يصفيهم الحق من هذه الأخطاء بأن تعضهم الأحداث. فينتبهوا إلى أنهم لا يأخذون بأسباب الله.[37]

[37] - تفسير الشعراوي - (/ 628)

وكما قال عز وجل لنبيه:{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} (67) سورة المائدة.

وجاء في السيرة المباركة كيف عصمه الله عز وجل من الرجل الذي رفع عليه السيف فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:كُنَّا إِذَا صَحِبْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ تَرَكْنَا لَهُ أَعْظَمَ شَجَرَةٍ وَأَظَلَّهَا فَيَنْزِلُ تَحْتَهَا،فَنَزَلَ ذَاتَ يَوْمٍ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَعَلَّقَ سَيْفَهُ فِيهَا،فَجَاءَ رَجُلٌ فَأَخَذَهُ فَقَالَ:يَا مُحَمَّدُ،مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" اللَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْكَ،ضَعِ السَّيْفَ " فَوَضَعَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ " سورة :(المائدة آية: 67)[38].

وقصة الشاه المسمومة التي أنطقها الله عز وجل،وأخبرت النبي بأنها مسمومة فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْيَهُودِ أَهْدَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - شَاةً مَسْمُومَةً،فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَقَالَ: مَا حَمَلَكِ عَلَى مَا صَنَعْتِ؟ قَالَتْ: أَحْبَبْتُ أَوْ أَرَدْتُ إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا،فَإِنَّ اللَّهَ

[38] - تَفْسِيرُ مُجَاهِدٍ (348) صحيح

مَطْلِعُكَ،وَإِنْ لَمْ تَكُنْ نَبِيًّا أُرِيحُ النَّاسَ مِنْكَ[39]...

وقصة إجلاء بني النضير،ونزول جبريل وميكائيل يوم أحد يدافعان عن شخص النبي .

وكذلك ما حدث يوم الرجيع فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - قَالَ بَعَثَ النَّبِىُّ - - سَرِيَّةً عَيْنًا،وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ - وَهْوَ جَدُّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانَ بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ ذُكِرُوا لِحَىٍّ مِنْ هُذَيْلٍ،يُقَالُ لَهُمْ بَنُو لَحْيَانَ،فَتَبِعُوهُمْ بِقَرِيبٍ مِنْ مِائَةِ رَامٍ،فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ حَتَّى أَتَوْا مَنْزِلاً نَزَلُوهُ فَوَجَدُوا فِيهِ نَوَى تَمْرٍ تَزَوَّدُوهُ مِنَ الْمَدِينَةِ فَقَالُوا هَذَا تَمْرُ يَثْرِبَ . فَتَبِعُوا آثَارَهُمْ حَتَّى لَحِقُوهُمْ،فَلَمَّا انْتَهَى عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لَجَئُوا إِلَى فَدْفَدٍ،وَجَاءَ الْقَوْمُ فَأَحَاطُوا بِهِمْ،فَقَالُوا لَكُمُ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ إِنْ نَزَلْتُمْ إِلَيْنَا أَنْ لاَ نَقْتُلَ مِنْكُمْ رَجُلاً . فَقَالَ عَاصِمٌ أَمَّا أَنَا فَلاَ أَنْزِلُ فِى ذِمَّةِ كَافِرٍ،اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ . فَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى قَتَلُوا عَاصِمًا فِى سَبْعَةِ نَفَرٍ بِالنَّبْلِ،وَبَقِىَ خُبَيْبٌ،وَزَيْدٌ وَرَجُلٌ آخَرُ،فَأَعْطَوْهُمُ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ،فَلَمَّا

---

[39] - غاية المقصد فى زوائد المسند 2 - (1 / 388) (3506) صحيح

أَعْطَوْهُمُ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ نَزَلُوا إِلَيْهِمْ،فَلَمَّا اسْتَمْكَنُوا مِنْهُمْ حَلُّوا أَوْتَارَ قِسِيِّهِمْ فَرَبَطُوهُمْ بِهَا . فَقَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ الَّذِى مَعَهُمَا هَذَا أَوَّلُ الْغَدْرِ . فَأَبَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَجَرَّرُوهُ وَعَالَجُوهُ عَلَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ،فَلَمْ يَفْعَلْ،فَقَتَلُوهُ،وَانْطَلَقُوا بِخُبَيْبٍ وَزَيْدٍ حَتَّى بَاعُوهُمَا بِمَكَّةَ،فَاشْتَرَى خُبَيْبًا بَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلٍ،وَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الْحَارِثَ يَوْمَ بَدْرٍ،فَمَكَثَ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا حَتَّى إِذَا أَجْمَعُوا قَتْلَهُ اسْتَعَارَ مُوسَى مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ الْحَارِثِ أَسْتَحِدَّ بِهَا فَأَعَارَتْهُ،قَالَتْ فَغَفَلْتُ عَنْ صَبِىٍّ لِى فَدَرَجَ إِلَيْهِ حَتَّى أَتَاهُ،فَوَضَعَهُ عَلَى فَخِذِهِ،فَلَمَّا رَأَيْتُهُ فَزِعْتُ فَزْعَةً عَرَفَ ذَاكَ مِنِّى،وَفِى يَدِهِ الْمُوسَى فَقَالَ أَتَخْشَيْنَ أَنْ أَقْتُلَهُ مَا كُنْتُ لأَفْعَلَ ذَاكِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَكَانَتْ تَقُولُ مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ،لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَأْكُلُ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ،وَمَا بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ ثَمَرَةٌ،وَإِنَّهُ لَمُوثَقٌ فِى الْحَدِيدِ،وَمَا كَانَ إِلاَّ رِزْقٌ رَزَقَهُ اللَّهُ،فَخَرَجُوا بِهِ مِنَ الْحَرَمِ،لِيَقْتُلُوهُ فَقَالَ دَعُونِى أُصَلِّى رَكْعَتَيْنِ . ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ لَوْلاَ أَنْ تَرَوْا أَنَّ مَا بِى جَزَعٌ مِنَ الْمَوْتِ،لَزِدْتُ . فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الرَّكْعَتَيْنِ عِنْدَ الْقَتْلِ هُوَ،ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا ثُمَّ قَالَ مَا أُبَالِى حِينَ أُقْتَلُ

مُسْلِمًا عَلَى أَيِّ شِقٍّ كَانَ لِلَّهِ مَصْرَعِى وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ عُقْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ فَقَتَلَهُ،وَبَعَثَ قُرَيْشٌ إِلَى عَاصِمٍ لِيُؤْتَوْا بِشَىْءٍ مِنْ جَسَدِهِ يَعْرِفُونَهُ،وَكَانَ عَاصِمٌ قَتَلَ عَظِيمًا مِنْ عُظَمَائِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ،فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِثْلَ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ،فَحَمَتْهُ مِنْ رُسُلِهِمْ،فَلَمْ يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَى شَىْءٍ[40].

فإن قال قائل: لماذا لم يمنعهم الله عز وجل من قتله كما منعهم من الوصول إلى جسده بعد قتله؟ فالجواب: أن الله عز وجل يحب أن يرى صدق الصادقين،ويحب أن يرى عباده المؤمنين،وهم يبذلون أنفسهم لله عز وجل فيبوئهم منازل الكرامة،ويزيدُهم من فضله،فالله عز وجل أراد أن يشرّفه بدرجة الشهادة،فلم يمنعهم من قتله ثم حمى الله عز وجل جسده من أن يمسه مشرك. فهذه صورة من صور النصر ولو انتهت بموت وقتل صاحبه.

هذه أنواع من النصر كلها تدخل في وعد الله سبحانه وتعالى: وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ [الروم:47]

[40] - صحيح البخارى (4086)

وما كان الله تعالى ليرسل رسولاً،ثم يُسلِمه لأعدائه،أو يتخلى عنه؛ لذلك قال سبحانه في موضع آخر:{ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ }[الصافات: 171-173].
وسبق أنْ قُلْنا: لا ينبغي أن تبحث في هذه الجندية: أصادق هذا الجندي في الدفاع عن الإسلام أم غير صادق؟ إنما انظر في النتائج،إنْ كانت له الغلبة فاعلم أن طاقة الإيمان فيه كانت مخلصة،وإنْ كانت الأخرى فعليه هو أن يراجع نفسه ويبحث عن معنى الانهزام الذي كان ضد الإسلام في نفسه،لأنه لو كان من جُنْد الله بحق لتحقق فيه{ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ }[الصافات: 173] ولا يُغلب جند الله إلا حين تنحلّ عنهم صفة من صفات الجندية.
وتأمل مثلاً ما حدث في غزوة أحد،حيث انهزم المسلمون - وإنْ كانت كلمة الهزيمة هنا ليست على سبيل التحقيق لأن المعركة كانت سجالاً،وقد انتصروا في أولها،لكن النهاية لم تكُنْ في صالحهم؛ لأن الرماة خالفوا أمر رسول الله،والهزيمة بعد هذه المخالفة أمر طبيعي.

وهل كان يسرُّك أيها المسلم أنْ ينتصر المسلمون بعد مخالفتهم أمر رسولهم؟
والله لو انتصروا مع مخالفتهم لأمر رسولهم لهانَ كل أمر لرسول الله بعدها،ولقالوا: لقد خالفنا أمره وانتصرنا. إذاً فمعنى ذلك أن المسلمين لم ينهزموا،إنما انهزمت الانهزامية فيهم،وانتصر الإسلام بصِدْق مبادئه.
كذلك في يوم حنين الذي يقول الله فيه{ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ... } [التوبة: 25] حتى أن الصِّديق نفسه يقول: لن نُغلَب اليوم عن قلة،فبدأت المسألة بالهزيمة،لكن الأمر كما تقول (صعبوا على ربنا) فأنزل السكينة عليهم،وشاء سبحانه أن يسامحهم في هذه الزلّة مراعاة لخاطر أبي بكر.
فقوله تعالى { وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنينَ } [الروم: 47] نعم،نصر المؤمنين حَقٌّ على الله،أوجبه سبحانه على نفسه،فهو تفضُّل منه سبحانه،كما يتفضل الموصِي بماله على الموصى له.[41]
ولكن النصر الذي بشرنا الله عز وجل به،وبشرنا به رسوله هو النصر الأول،وهو

---

[41] - تفسير الشعراوي - (/ 3381)

نصر التمكين والظهور،قال الله تعالى: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدّينِ كُلّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ [الصف:9]
وهذا توكيد لوعد اللّه الأول:«وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ» .. ولكن في صورة أكثر تحديدا. فنور اللّه الذي قرر سبحانه أن يتمه،هو دين الحق الذي أرسل به رسوله ليظهره على الدين كله.
ودين الحق - كما أسلفنا - هو الدينونة للّه وحده في الاعتقاد والعبادة والتشريع مجتمعة. وهو متمثل في كل دين سماوي جاء به رسول من قبل .. ولا يدخل فيه طبعا تلك الديانات المحرفة المشوهة المشوبة بالوثنيات في الاعتقاد التي عليها اليهود والنصارى اليوم. كما لا تدخل فيه الأنظمة والأوضاع التي ترفع لافتة الدين،وهي تقيم في الأرض أربابا يعبدها الناس من دون اللّه،في صورة الاتباع للشرائع التي لم ينزلها اللّه.
واللّه سبحانه يقول:إنه أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .. ويجب أن نفهم «الدين» بمدلوله الواسع الذي بيناه،لندرك أبعاد هذا الوعد الإلهي ومداه ..

إن «الدين» هو «الدينونة» .. فيدخل فيه كل منهج وكل مذهب وكل نظام يدين الناس له بالطاعة والاتباع والولاء ..
واللّه سبحانه يعلن قضاءه بظهور دين الحق الذي أرسل به رسوله على «الدين» كله بهذا المدلول الشامل العام! إن الدينونة ستكون للّه وحده. والظهور سيكون للمنهج الذي تتمثل فيه الدينونة للّه وحده.
ولقد تحقق هذا مرة على يد رسول اللّه - ﷺ - وخلفائه ومن جاء بعدهم فترة طويلة من الزمان. وكان دين الحق أظهر وأغلب وكانت الأديان التي لا تخلص فيها الدينونة للّه تخاف وترجف! ثم تخلى أصحاب دين الحق عنه خطوة فخطوة بفعل عوامل داخلة في تركيب المجتمعات الإسلامية من ناحية وبفعل الحرب الطويلة المدى،المنوعة الأساليب،التي أعلنها عليه أعداؤه من الوثنيين وأهل الكتاب سواء ..
ولكن هذه ليست نهاية المطاف ..
إن وعد اللّه قائم،ينتظر العصبة المسلمة،التي تحمل الراية وتمضي،مبتدئة من نقطة البدء،التي بدأت منها خطوات

رسول اللّه - ﷺ - وهو يحمل دين الحق ويتحرك بنور اللّه ..[42]
لقد ظهر دين الحق،لا في الجزيرة وحدها،بل ظهر في المعمور من الأرض كلها قبل مضي نصف قرن من الزمان. ظهر في امبراطورية كسرى كلها،وفي قسم كبير من امبراطورية قيصر،وظهر في الهند وفي الصين،ثم في جنوب آسيا في الملايو وغيرها،وفي جزر الهند الشرقية (أندونيسيا) .. وكان هذا هو معظم المعمور من الأرض في القرن السادس ومنتصف القرن السابع الميلادي..
وما يزال دين الحق ظاهرا على الدين كله - حتى بعد انحساره السياسي عن جزء كبير من الأرض التي فتحها،وبخاصة في أوربا وجزر البحر الأبيض. وانحسار قوة أهله في الأرض كلها بالقياس إلى القوى التي ظهرت في الشرق والغرب في هذا الزمان.
أجل ما يزال دين الحق ظاهرا على الدين كله،من حيث هو دين. فهو الدين القوي بذاته،القوي بطبيعته،الزاحف بلا سيف ولا مدفع من أهله! لما في طبيعته من استقامة مع الفطرة ومع نواميس الوجود الأصيلة

[42] - فى ظلال القرآن ـ موافقا للمطبوع - (3 / 1644)

ولما فيه من تلبية بسيطة عميقة لحاجات العقل والروح،وحاجات العمران والتقدم،وحاجات البيئات المتنوعة،من ساكني الأكواخ إلى سكان ناطحات السحاب! وما من صاحب دين غير الإسلام،ينظر في الإسلام نظرة مجردة من التعصب والهوى حتى يقر باستقامة هذا الدين وقوته الكامنة،وقدرته على قيادة البشرية قيادة رشيدة،وتلبية حاجاتها النامية المتطورة في يسر واستقامة .. «وَكَفى بِاللَّهِ شَهِيداً» ..

فوعد اللّه قد تحقق في الصورة السياسية الظاهرة قبل مضي قرن من الزمان بعد البعثة المحمدية. ووعد اللّه ما يزال متحققا في الصورة الموضوعية الثابتة وما يزال هذا الدين ظاهرا على الدين كله في حقيقته. بل إنه هو الدين الوحيد الباقي قادرا على العمل،والقيادة،في جميع الأحوال.ولعل أهل هذا الدين هم وحدهم الذين لا يدركون هذه الحقيقة اليوم! فغير أهله يدركونها ويخشونها،ويحسبون لها في سياساتهم كل حساب![43]

---

[43] - فى ظلال القرآن ـ موافقا للمطبوع - (6 / 3330)
وانظر موسوعة خطب المنبر - الإصدار الثاني - (1 /

2999) من معاني النصر-ناصر بن محمد الأحمد

المبحث الثاني
لماذا يبطئ النصر ؟

إن الثقة بنصر الله،وعونه ووعده الحق لمن جاهد في سبيله،هي زاد الطريق،ومفتاح الأمل،ونور الأجيال الإسلامية التي تبصر بها آفاق الرحلة،وتبقى لحظة النصر وبشارة التمكين حية شاخصة في رؤى المجاهدين ومشاعرهم،وإن من فقد هذه الثقة بالله ونصره،فقد خسر خسراناً مبيناً،ومن تشكك فيها لحظة،فقد تأخر عليه النصر على قدرها مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاء ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ وَكَذالِكَ أَنزَلْنَاهُ ءايَاتٍ بَيّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ [الحج:15،16].

فمن كان يشك في نصر الله لأوليائه فليقرأ قول الله تعالى: إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءامَنُواْ فِى الْحياةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ [غافر:51]،وقوله سبحانه: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءوهُم بِالْبَيّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُواْ وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنينَ [الروم:47]،وقوله عز وجل: ياأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكمْ عَلَى تِجَارَةٍ

تُنجِيكُم مّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيّبَةً فِى جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مّن اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشّرِ الْمُؤْمِنِينَ [الصف: 10-13]،وقوله سبحانه: ياأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ إِن تَنصُرُواْ اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبّتْ أَقْدَامَكُمْ [محمد:7]،وقوله تعالى: ذالِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ [الحج:60].

إن نصر الله جل وعز متحقق لمن يستحقونه،وهم المؤمنون الذين يثبتون حتى النهاية،الذين يثبتون على البأساء والضراء،الذين يصمدون للزلزلة الذين لا يحنون رؤوسهم للعاصفة،الذين يستيقنون أن لا نصر إلا نصر الله،وعندما يشاء الله،وحتى حين تبلغ المحنة ذروتها فهم يتطلعون فحسب إلى نصر الله لا إلى أي حل آخر،ولا إلى نصر لا يجيء من عند الله،ولا نصر إلا من عند الله.

وفي كل ذلك خير مع دفاع الله عن الذين آمنوا وتحقيق النصر لهم في النهاية{ أُذِنَ

لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى
نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (39) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ
دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا
دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ
صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا
اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ
اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (40) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي
الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا
بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ
الْأُمُورِ (41) وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ
قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ (42) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ
وَقَوْمُ لُوطٍ (43) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ
مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ
كَانَ نَكِيرِ (44) فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا
وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ
مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ (45) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي
الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ
يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ
تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (46)
وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ
وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (
47) وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ

ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ (48) }[الحج:39 - 48] .[44]
«إِنَّ اللَّهَ يُدافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ»
فقد ضمن للمؤمنين إذن أنه هو تعالى يدافع عنهم. ومن يدافع اللّه عنه فهو ممنوع حتما من عدوه،ظاهر حتما على عدوه .. ففيم إذن يأذن لهم بالقتال؟ وفيم إذن يكتب عليهم الجهاد؟ وفيم إذن يقاتلون فيصيبهم القتل والجرح،والجهد والمشقة،والتضحية والآلام ... والعاقبة معروفة،واللّه قادر على تحقيق العاقبة لهم بلا جهد ولا مشقة،ولا تضحية ولا ألم،ولا قتل ولا قتال؟
والجواب أن حكمة اللّه في هذا هي العليا،وأن للّه الحجة البالغة .. والذي ندركه نحن البشر من تلك الحكمة ويظهر لعقولنا ومداركنا من تجاربنا ومعارفنا أن اللّه سبحانه لم يرد أن يكون حملة دعوته وحماتها من «التنابلة» الكسالى،الذين يجلسون في استرخاء،ثم يتنزل عليهم نصره سهلا هينا بلا عناء،لمجرد أنهم يقيمون الصلاة ويرتلون القرآن ويتوجهون إلى اللّه

---
[44] - موسوعة خطب المنبر - الإصدار الثاني - (1 / 2999) -من معاني النصر-ناصر بن محمد الأحمد

بالدعاء،كلما مسهم الأذى ووقع عليهم
الاعتداء! نعم إنهم يجب أن يقيموا
الصلاة،وأن يرتلوا القرآن،وأن يتوجهوا إلى
اللّه بالدعاء في السراء والضراء.
ولكن هذه العبادة وحدها لا تؤهلهم لحمل
دعوة اللّه وحمايتها إنما هي الزاد الذي
يتزودونه للمعركة.
والذخيرة التي يدخرونها للموقعة،والسلاح
الذي يطمئنون إليه وهم يواجهون الباطل
بمثل سلاحه ويزيدون عنه سلاح التقوى
والإيمان والاتصال باللّه.
لقد شاء اللّه تعالى أن يجعل دفاعه عن
الذين آمنوا يتم عن طريقهم هم أنفسهم
كي يتم نضجهم هم في أثناء المعركة.
فالبنية الإنسانية لا تستيقظ كل الطاقات
المذخورة فيها كما تستيقظ وهي تواجه
الخطر وهي تدفع وتدافع،وهي تستجمع كل
قوتها لتواجه القوة المهاجمة .. عندئذ تتحفز
كل خلية بكل ما أودع فيها من استعداد
لتؤدي دورها ولتتساند مع الخلايا الأخرى في
العمليات المشتركة ولتؤتي أقصى ما
تملكه،وتبذل آخر ما تنطوي عليه وتصل إلى
أكمل ما هو مقدور لها وما هي مهيأة له من
الكمال.

والأمة التي تقوم على دعوة اللّه في حاجة إلى استيقاظ كل خلاياها،واحتشاد كل قواها،وتوفز كل استعدادها،وتجمع كل طاقاتها،كي يتم نموها،ويكمل نضجها،وتتهيأ بذلك لحمل الأمانة الضخمة والقيام عليها.
والنصر السريع الذي لا يكلف عناء،والذي يتنزل هينا لينا على القاعدين المستريحين،يعطل تلك الطاقات عن الظهور،لأنه لا يحفزها ولا يدعوها.
وذلك فوق أن النصر السريع الهين اللين سهل فقدانه وضياعه. أولا لأنه رخيص الثمن لم تبذل فيه تضحيات عزيزة. وثانيا لأن الذين نالوه لم تدرب قواهم على الاحتفاظ به ولم تشحذ طاقاتهم وتحشد لكسبه. فهي لا تتحفز ولا تحتشد للدفاع عنه.
وهناك التربية الوجدانية والدربة العملية تلك التي تنشأ من النصر والهزيمة،والكر والفر،والقوة والضعف والتقدم والتقهقر.
ومن المشاعر المصاحبة لها .. من الأمل والألم. ومن الفرح والغم،ومن الاطمئنان والقلق.
ومن الشعور بالضعف والشعور بالقوة ..
ومعها التجمع والفناء في العقيدة والجماعة والتنسيق بين الاتجاهات في ثنايا المعركة

وقبلها وبعدها وكشف نقط الضعف ونقط القوة،وتدبير الأمور في جميع الحالات .. وكلها ضرورية للأمة التي تحمل الدعوة وتقوم عليها وعلى الناس.
من أجل هذا كله،ومن أجل غيره مما يعلمه اللّه .. جعل اللّه دفاعه عن الذين آمنوا يتم عن طريقهم هم أنفسهم ولم يجعله لقية تهبط عليهم من السماء بلا عناء .
والنصر قد يبطىء على الذين ظلموا وأخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا:ربنا اللّه. فيكون هذا الإبطاء لحكمة يريدها اللّه.
قد يبطىء النصر لأن بنية الأمة المؤمنة لم تنضج بعد نضجها،ولم يتم بعد تمامها،ولم تحشد بعد طاقاتها،ولم تتحفز كل خلية وتتجمع لتعرف أقصى المذخور فيها من قوى واستعدادات. فلو نالت النصر حينئذ لفقدته وشيكا لعدم قدرتها على حمايته طويلا! وقد يبطىء النصر حتى تبذل الأمة المؤمنة آخر ما في طوقها من قوة،وآخر ما تملكه من رصيد،فلا تستبقي عزيزا ولا غاليا،لا تبذله هينا رخيصا في سبيل اللّه.
وقد يبطىء النصر حتى تجرب الأمة المؤمنة آخر قواها،فتدرك أن هذه القوى وحدها

بدون سند من اللّه لا تكفل النصر. إنما يتنزل النصر من عند اللّه عند ما تبذل آخر ما في طوقها ثم تكل الأمر بعدها إلى اللّه. وقد يبطىء النصر لتزيد الأمة المؤمنة صلتها باللّه،وهي تعاني وتتألم وتبذل ولا تجد لها سندا إلا اللّه،ولا متوجها إلا إليه وحده في الضراء. وهذه الصلة هي الضمانة الأولى لاستقامتها على النهج بعد النصر عند ما يتأذن به اللّه. فلا تطغى ولا تنحرف عن الحق والعدل والخير الذي نصرها به اللّه. وقد يبطىء النصر لأن الأمة المؤمنة لم تتجرد بعد في كفاحها وبذلها وتضحياتها للّه ولدعوته فهي تقاتل لمغنم تحققه،أو تقاتل حمية لذاتها،أو تقاتل شجاعة أمام أعدائها. واللّه يريد أن يكون الجهاد له وحده وفي سبيله،بريئا من المشاعر الأخرى التي تلابسه.،فَعنْ أَبِى مُوسَى قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِىِّ - ﷺ - فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ،مَا الْقِتَالُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّ أَحَدَنَا يُقَاتِلُ غَضَبًا،وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً . فَرَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ - قَالَ وَمَا رَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ قَائِمًا - فَقَالَ « مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِىَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ »[45].

---

[45] - صحيح البخارى (123 ، 2810 ، 3126 ، 7458)

كما قد يبطىء النصر لأن في الشر الذي تكافحه الأمة المؤمنة بقية من خير،يريد اللّه أن يجرد الشر منها ليتمحض خالصا،ويذهب وحده هالكا،لا تتلبس به ذرة من خير تذهب في الغمار! وقد يبطىء النصر لأن الباطل الذي تحاربه الأمة المؤمنة لم ينكشف زيفة للناس تماما. فلو غلبه المؤمنون حينئذ فقد يجد له أنصارا من المخدوعين فيه،لم يقتنعوا بعد بفساده وضرورة زواله فتظل له جذور في نفوس الأبرياء الذين لم تنكشف لهم الحقيقة. فيشاء اللّه أن يبقى الباطل حتى يتكشف عاريا للناس،ويذهب غير مأسوف عليه من ذي بقية! وقد يبطىء النصر لأن البيئة لا تصلح بعد لاستقبال الحق والخير والعدل الذي تمثله الأمة المؤمنة. فلو انتصرت حينئذ للقيت معارضة من البيئة لا يستقر لها معها قرار. فيظل الصراع قائما حتى تتهيأ النفوس من حوله لاستقبال الحق الظافر،ولاستبقائه! من أجل هذا كله،ومن أجل غيره مما يعلمه اللّه،قد يبطىء النصر،فتتضاعف التضحيات،وتتضاعف الآلام. مع دفاع اللّه عن الذين آمنوا وتحقيق النصر لهم في النهاية.

وللنصر تكاليفه وأعباؤه حين يتأذن اللّه به بعد استيفاء أسبابه وأداء ثمنه،وتهيؤ الجو حوله لاستقباله واستبقائه:« وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ. الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقامُوا الصَّلاةَ،وَآتَوُا الزَّكاةَ،وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ،وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ» ..
فوعد اللّه المؤكد الوثيق المتحقق الذي لا يتخلف هو أن ينصر من ينصره .. فمن هم هؤلاء الذين ينصرون اللّه،فيستحقون نصر اللّه،القوي العزيز الذي لا يهزم من يتولاه؟ إنهم هؤلاء:
«الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ» .. فحققنا لهم النصر،وثبتنا لهم الأمر .. «أَقامُوا الصَّلاةَ» .. فعبدوا اللّه ووثقوا صلتهم به،واتجهوا إليه طائعين خاضعين مستسلمين .. «وَآتَوُا الزَّكاةَ» .. فأدوا حق المال،وانتصروا على شح النفس،وتطهروا من الحرص،وغلبوا وسوسة الشيطان،وسدوا خلة الجماعة،وكفلوا الضعاف فيها والمحاويج،وحققوا لها صفة الجسم الحي - كما قال رسول اللّه - ﷺ -:«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه

عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» ..
«وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ» .. فدعوا إلى الخير والصلاح،ودفعوا إليه الناس .. «وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ» .. فقاوموا الشر والفساد،وحققوا بهذا وذاك صفة الأمة المسلمة التي لا تبقى على منكر وهي قادرة على تغييره،ولا تقعد عن معروف وهي قادرة على تحقيقه ..
هؤلاء هم الذين ينصرون اللّه،إذ ينصرون نهجه الذي أراده للناس في الحياة،معتزين باللّه وحده دون سواه. وهؤلاء هم الذين يعدهم اللّه بالنصر على وجه التحقيق واليقين.فهو النصر القائم على أسبابه ومقتضياته. المشروط بتكاليفه وأعبائه ..
والأمر بعد ذلك للّه،يصرفه كيف يشاء،فيبدل الهزيمة نصرا،والنصر هزيمة،عند ما تختل القوائم،أو تهمل التكاليف:«وَلِلَّهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ» .. إنه النصر الذي يؤدي إلى تحقيق المنهج الإلهي في الحياة. من انتصار الحق والعدل والحرية المتجهة إلى الخير والصلاح. المنظور فيه إلى هذه الغاية التي يتوارى في ظلها الأشخاص والذوات،والمطامع والشهوات ..وهو نصر له سببه. وله ثمنه. وله تكاليفه. وله شروطه. فلا يعطى لأحد

جزافا أو محاباة ولا يبقى لأحد لا يحقق غايته ومقتضاه ..[46]

[46] - فى ظلال القرآن ـ موافقا للمطبوع - (4 / 2425)

أهم المصادر

1. فى ظلال القرآن ـ موافقا للمطبوع
2. صحيح ابن حبان
3. أيسر التفاسير لأسعد حومد
4. مجموع الفتاوى لابن تيمية
5. تفسير السعدي
6. صحيح مسلم
7. مسند أحمد (عالم الكتب)
8. التفسير الميسر
9. المعجم الكبير للطبراني
10. الطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى لِابْنِ سَعْدٍ
11. صحيح البخارى
12. موسوعة خطب المنبر - الإصدار الثاني
13. تفسير الشعراوي
14. تَفْسِيرُ مُجَاهِدٍ
15. غاية المقصد فى زوائد المسند
16. الشاملة 3
17. برنامج قالون

الفهرس العام